جمهورية مصر العربية
وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

دراسات فى أدب الأطفال



القيم التربوية فى قصص الأطفال

تأليف: يعقوب الشارونى

موسوعة أعلام الفكر العربي – جزء (٣) – الناشر : مكتبة مصر (٢٠٠٢) ص ٢٤٠

يعقوب الشاروني : (١٩٣١ –   )

ولد يعقوب الشاروني في ١٠ فبراير سنة ١٩٣١ بالقاهرة حيث درس القانون ، وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٥٢ ، وهو مؤلف لأدب الأطفال ، وأحد كبار رواد أدب الأطفال في مصر والعالم العربي ، والرئيس السابق للمركز القومي لثقافة الطفل ، دراسته العليا في الاقتصاد . تدرج في مناصب القضاء حتى وصل إلى منصب " النائب " بهيئة قضايا الدولة (رئيس محكمة) . في عام ١٩٦٧ طلب الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة انتدابه من منصبه في القضاء ليعمل بوزارة الثقافة متخصصا في ثقافة الطفل ومديرا عاما للثقافة الجماهيرية (الهيئة العامة لقصور الثقافة) . وفي عام ١٩٦٩ سافر إلى فرنسا للدراسة أساليب العمل الثقافي بين الجماهير خاصة في مجال ثقافة الطفل . ومن سنة ١٩٧٠ حتى ١٩٧٢ أشرف على مركز ثقافة الطفل ومسرح الطفل بالثقافة الجماهيرية ، ثم عمل مستشارا لوزير الثقافة لشئون ثقافة الطفل . وعمل معظم الفترة من ١٩٨١ حتى ١٩٩١ رئيسا للمركز القومي لثقافة الطفل بدرجة وكيل وزارة ، وأصدر سلسلة " مجلدات بحوث ودراسات ثقافات الطفل " . وأنشأ " المسابقة القومية للطفل الموهوب " ، كما أصدر العدد التجريبي من أول مجلة للثقافة العلمية باسم " النحلة " . كما أنشأ " الندوة الدائمة لأدب وثقافة الطفل " .

بدأ حياته الأدبية بالكتابة للمسرح ، وحصل على جائزة الدولة الخاصة في الأدب عام ١٩٦٠ والتي تسلمها من الرئيس جمال عبد الناصر ، والجائزة الأولى للتأليف المسرحي عام ١٩٦٢ . وحصل على جائزة أحسن كاتب أطفال عام ١٩٨١ عن قصته " سر الاختفاء العجيب " وكانت د. سهير القلماوي رئيسة لجنة الجائزة ، وعلى جائزة أفضل كاتب للأطفال عن مجموع مؤلفاته عام ١٩٩٨ من المجلس الأعلى للثقافة . وفي عام ٢٠٠٢ حصل كتابه " أجمل الحكايات الشعبية " على الجائزة الكبرى لمعرض بولونيا الدولي لكتب الأطفال ، وهو نفس الكتاب الذي فاز عنه المؤلف بالجائزة الخاصة لمسابقة سوزان مبارك لأدب الأطفال .

يعمل منذ عام ١٩٨٢ حتى الآن استاذا زائرا لأدب وقصص الأطفال بكليات التربية بجامعات حلوان والإسكندرية وطنطا وكفر الشيخ وجنوب الوادي . وهو عضو جمعية الرعاية المتكاملة وعضو لجان تحكيم جائزة سوزان مبارك لأدب الأطفال ، وعضو لجنة تحكيم جائزة الدولة التقديرية لأدب الأطفال بالأردن . وفي عام ١٩٩٢ شارك في وضع الخطة القومية الشاملة للطفل العربي بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . زار معظم بلاد العالم للتعرف على ثقافة الطفل ، ويقدم منذ عام ١٩٨٢ وحتى الآن (٢٠٠٣) ، في صحيفة الأهرام ، ركنا خاصا بالأطفال (حكاية أعجبتني - ألف حكاية وحكاية) . وتتميز قصص يعقوب الشاروني بالحس الإنساني المرهف . وبقدرتها على جذب الصغار والكبار ، لمضمونها المعاصر المتصل بالمواقف الحياتية ، وما فيها من شخصيات نابضة بالحياة حتى ليحس القارئ بانه يعرفها ، بالإضافة إلى حيوية الحوار الذي يجيد الشاروني إبداعه للتعبير عن حقيقة الشخصيات وتجسيد المواقف . ونجد أن معظم قصصه تتفاعل مع أهم القضايا التي تشغل الأطفال والعالم ، مثل قدرة الأطفال على الإبداع ، وقبول الآخر ، واحترام قدرات الطفلة الأنثى ، والشجاعة في مواجهة العقبات والإحباط ، والواقع النفسي للأطفال العاملين وأطفال الشوارع وذوي الاحتياجات الخاصة ، والخيال العلمي ، واحترام البيئة ، وتشجيع الأطفال على الحوار والتعبير عن أنفسهم ، وهو ما يجعل كل طفل يجد نفسه وأحلامه وهمومه وأفراحه في قصص يعقوب الشاروني .

بلغ عدد الكتب التي كتبها للأطفال وتم نشرها أكثر من ٤٠٠ كتابا تم ترجمة عدد كبير منها إلى أكثر من لغة أجنبية . ومن أهم السلاسل التي كتبها للأطفال : " موسوعة ألف حكاية وحكاية " - " موسوعة العالم بين يديك " - أجمل الحكايات الشعبية - عشرة كتب ضمن المكتبة الخضراء للأطفال - سلسلة في كل زمان ومكان - كيف نلعب مع أطفالنا - كيف نقرأ لأطفالنا - كيف نحكي قصة - تنمية عقل وذكاء الطفل - ثقافة طفل القرية وثقافة الطفل العامل - القيم التربوية في قصص الأطفال - ودراسات في القصة للأطفال - تنمية عادة القراءة عند الأطفال . وله أكثر من ٦٠ دراسة وبحث عن أدب الأطفال والكتابة لهم . ومن أهم رواياته : سر الاختفاء العجيب - مفاجأة الحفل الأخير - مغامرة البطل منصور - شجرة تنمو في قارب - صندوق نعمة ربنا - حكاية طارق وعلاء - أحلى من شيء أني حرة - مغامرة زهرة مع الشجرة - عفاريت نصف الليل - أيام الفرح والحزن لأميرة الحذاء الأحمر - المفلس معروف في بلاد الفلوس - ضائع في القناة - البنت منيرة وقطتها شمسة - حسناء والثعبان الملكي .

جمهورية مصر العربية
وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

القيم التربوية في قصص الاطفال

بقلم
يعقوب الشاروني

أستاذ أدب الأطفال بكلية التربية ـ جامعة حلوان

(١)

الآثــار السلبية
لكتب الاطفــال المترجمة
على القيم التربوية للاطفال العرب

على امتداد الوطن العربى ، أصبح الراشدون ، من آباء وأمهات ، مدرسين ومربين ، يدركون أكثر من ذى قبل ، مطالب الأطفال واحتياجاتهم الفكرية والعقلية والعاطفية . وأقوى دليل على هذا ، ذلك الازدياد الكبير فى مبيعات كتب الأطفال فى العالم العربى . وهى كتب أصبح البعض يعتبرها سلعة رائجة لا يهتم فيها بجودة المضمون ، قدر اهتمامه بإبهار الشكل أو بقدرتها على جذب اهتمام الصغار .

وهذا التغير فى النظرة الى مرحلة الطفولة ، وان كان تغيرا محدودا ، قد حمل عديدا من دور النشر على أن تقدم للأطفال ألوانا مختلفة من الكتب والمجلات ، فيه مترجم كثير ، أو مؤلف بغير خبرة كافية .

ان أدب الأطفال فى اللغة العربية ، والذى كان الى ما قبل ربع قرن يمر بأزمة وجود ، قد أصبح الآن يمر بأزمةجودة . أو بعبارة أخرى صارت أزمة الكم التى كان يعانى منها أدب الأطفال ، أزمة فى الكيف . فقد توسعت الكتابة للأطفال وكثر هواتها والمستفيدون منها . وكثير من هذه الكتابات تتم فى غيبة النقد ، وفى غيبة الرقابة الوطنية ، فتجىء أدبا تعوزه ، من ناحية مقومات الأدب الناجح رغم وجود الكتب التى تضمه على رفوف الكثير من مكتبات المدارس الحكومية ،

أو بين أيدى الأطفال . وتعوزه ، من ناحية أخرى ، تلبية الاحتياجات القومية والفكرية والنفسية والعلمية التى تسعى المجتمعات العربية الى توفيرها لأطفالها .

ولما كانت الخبرة الناضجة بالكتابة للأطفال ، نادرة وقليلة فى العالم العربى ، فقد لجأ عدد كبير من الناشرين الى البحث عن كتب ومجلات الأطفال الرائجة فى العالم الغربى ، يترجمونها ، ويقدمونها بنفس رسومها الى أطفالنا ، بغير ادراك لما تحتوى عليه من قيم تربوية غير ملائمة لنا ، أو مرفوضة حتى فى البلاد التى تصدر فيها تلك المطبوعات .

ونستعرض فيما يلى بعض القضايا التى تثيرها بعض مطبوعات الأطفال المترجمة ، والتى تجد رواجا بين قطاعات كبيرة من أطفالنا العرب .

الرجل الخارق للطبيعة ، والخيال العلمى فى أدب الاطفال

تعتمد معظم روائع أدب الأطفال على الخيال ، فالخيال هو أثمن هبة أعطتها الطبيعة للأطفال ، وهو خيال أوسع من خيال الراشدين وأخصب ، لذلك يحرص من يكتبون للأطفال على توسيع آفاق هذا الخيال وتنمية .

وقصص الخيال العلمى فى مقدمة ما يثير خيال الأطفال ، وينمى قدراتهم العقلية .. فأهم قضايا التثقيف تدور حول البحث فى كيفية تهيئة الفرص ، ليكون فى وسع العقل أن يصطنع روابط ، ويستخرج نتائج ، من مجرد سماع حقائق متفرقة . وبذلك يكون فى استطاعة العقل التقدم نحو المجهول ، مستخدما انجازات البشرية ومعرفتها السابقة ، لكسب فكرة جديدة أو حل أصيل . ان التخيل هو اعادة تركيب الخبرات السابقة فى أشكال جديدة من الصور الذهنية .

ويتخذ أدب الخيال العلمى موضوعه من الظواهر العلمية ، وتوقعاتها المقبلة ، والتنبؤ بها ، وانعكاسات ذلك على عالم المستقبل

ومصير الانسان . ان العالم الألمانى « هرمان أوبرت » ، عندما قرأ فى سنة ١٩٠٦ رواية « جون فيرن » : « من الأرض الى القمر » ، أثار خياله ما فى القصة من صور عن عالم الفضاء ، بصواريخه وكواكبه وقذائفه المتدفقة نحو المجاهل البعيدة ، فتساءل ذلك العالم الصغير : « هل يمكن أن يحدث هذا؟ » فأجابته أمه : « كل الأعمال الكبيرة تبدأ بالأحلام ، ثم يسعى الناس لتحقيق هذه الأحلام » . ومنذ ذلك الوقت ، أخذ هرمان يفكر فى المدفع الذى أطلق قذيفة « جول فيرن » نحو القمر ، بسرعة أحد عشر كيلو مترا فى الثانية ، وظل يفكر فى كيفية التخلص من الجاذبية الأرضية ، وفى الكيفية التى يمكن أن يصنع بها هذه القذيفة . وظلت هذه القضية تشغله ست عشرة سنة ، طلع بعدها على العالم بمخطوطه فى علم الفضاء ، كانت الخطوة الأولى فى اطلاق أول الأقمار الصناعية حول الأرض سنة ١٩٥٧ .

ورغم أن أدب الخيال العلمى يتحدث عن منجزات علمية لم يتوصل اليها الانسان بعد ، فانها كثيرا ما توحى الى العلماء بأفكار تتعلق بمختلف ميادين العلم ، كالطب والكهرباء والچيولوچيا وغيرها . كما أن المؤلفات التى يصدرها هؤلاء الكتاب ، تعطى جماهير القراء مفاهيم شتى لاحتمالات العلم المستقبلة ، وللتطور المذهل الذى تسير فيه معظم العلوم ، وبهذا أصبح أدب الخيال العلمى علاجا للقطيعة بين الفن والعلم .

لكن اذا قيل أنه لا حدود للخيال ، فانه عندما يهتدى المؤلف الى موضوع قصته ، فانه يجب أن يخضع لمنطق معين ، وأن يضع لفكرته الحدود التى تجعلها مقبولة لدى الأطفال ، وبذلك يعمل المؤلف داخل اطار ونظام معين ، ولا يترك نفسه بغير ضابط ، حتى لا يخرج للقراء أنواعا من الهذيان ، لا تمت للعلم بصلة . وهذا هو الذى يفرق بين القصص التى تقوم على تنمية أسلوب التفكير العلمى ، الذى يعتمد على الملاحظة والاستنتاج ، وعلى التجربة والخطأ ، وعلى وضع

الفروض وتمحيص هذه الفروض حتى يصل الى نتائج ايجابية ناجحة ـ وبين القصص التى تدور حول شخصية « الرجل الخارق للطبيعة » (السوبرمان) ، والتى تحفل بها الكتب والمجلات التجارية المترجمة ، التى تقدم للطفل ، دون مقدمات ، أجهزة ووسائل جاهزة ، يستخدم البطل معظمها فى القتل والدمار ، دون أية اشارة الى طريقة التوصل الى اختراع تلك الآلات ، أو أية اشارة لما يمكن أن تمنحه للبشرية من فوائد . ان قصص الرجل الخارق للطبيعة توهم بأنها من قصص الخيال العلمى ، رغم أنها فى الواقع قصص الهذيان والخرافات ، التى تستعير من العلم أشكاله الخارجية دون مضمونه الحقيقى .

* * * *

كذلك فان شخصيات قصص الرجل الخارق للطبيعة ، مثل قصص « سوبرمان » ، « والرجل الأخضر » ، « وباتمان » وغيرها ، تلجأ الى تبسيط الشخصيات ، بحيث تجعل بعضها ممثلا للخير المطلق ، وبعضها ممثلا للشر المطلق ، رغم مخالفة هذا لطبيعة البشر ، مما يؤدى الى فهم الأطفال لمجتمعهم ، والمجتمعات الأخرى ، فهما خاطئا ، ويستثير لديهم دوافع التعصب والعدوان . ففى كل انسان جانب طيب وجانب خبيث ، ولابد أن يساعد الأدب على أن يفهم الأطفال دوافع الانسان وأسباب سلوكه ، وذلك بطريقة مبسطة ، تناسب مراحل الطفولة التى نوجه اليها ما نكتب .

ان كثيرا من هذه القصص تدور حول سلسلة متصلة من حوادث العنف الجنونية ، قبل أن ينتصر البطل الذى يأخذ بناصر المظلومين فى القصة . هذا فى حين أنه ينبغى أن يكون سلوك أشخاص القصة من بدايتها الى نهايتها سلوكا سويا لا شذوذ فيه ، لأن الأطفال يتأثرون بالقدوة المتمثلة فى أحداث القصة ومواقفها المختلفة ، أكثر كثيرا مما يتأثرون بعبارة تدين الأفعال الخاطئة ، ولا تقال الا فى نهاية القصة .

× × ×

كما أن هذا النوع من القصص يؤكد قيما معادية لكل ما قامت عليه نظم الدول المتمدينة الحديثة : فمن القيم التى يجب أن تشيع فى نفوس الأطفال ، احترام القانون ، وترك مهمة محاكمة المخطىء والحكم عليه وتنفيذ الحكم ، للقضاء ولسلطات الأمن . فعندما يكون الطفل صغيرا ، نطلب منه أن يحتكم لوالديه فيما ينشأ من نزاع بينه وبين إخوته أو أبناء الجيران . وفى المدرسة تطلب إليه أن يلجأ فى تلك الحالات الى هيئة التدريس أو مدير المدرسة ، وعندما يلتحق بعمل ، لابد أن يلجأ لرؤسائه فيما يثور بينه وبين زملائه من نزاع أو خلاف وإلا استحق العقاب . وفى الحياة اليومية ، لابد أن يلجأ الى سلطات الأمن أو الى سلطة القضاء ، للفصل فيما ينشأ بينه وبين الآخرين من نزاع .

لكن كثيرا من قصص الرجل الخارق للطبيعة ، تجعل البطل هو الذى يحدد ما هو الخير وما هو الشر ، وتتركه يحكم بنفسه على الآخرين وبمعياره الشخصى ، ثم ينفذ بنفسه ما ينتهى اليه من أحكام ، حتى لو كانت الحكم بالإعدام ! وبهذا تلغى هذه القصص كل ما قدمته الحضارة من نظام للدولة ، يخضع فيه كل شخص للقانون الذى سنته الجماعة ، حتى لايترك الأمر فوضى لوجهات النظر الشخصية ، التى تروج لها وتغلبها مثل هذه القصص ، التى تعطى ذلك الفرد المتفوق ، والذى يفترض أن يتمثل به الطفل ـ كل سلطات الشرطة والقضاء وأجهزة تنفيذ الأحكام !!

ولابد من ملاحظة نتوقف هنا أمامها ، هى أن هذه الشخصيات الفردية المتفوقة ، قد جاء اختراعها فى مجتمعات تسعى فيها المؤسسات الاقتصادية الضخمة الى أن تستقل بادارتها عن كل سلطة أو قانون من سلطات أو قوانين الدولة ، تحت ستار شعارات تنادى بالحرية الاقتصادية دون قيود . انها مجتمعات أصبحت فيها الشركات الكبرى دولا داخل الدولة ، وأصبح المسيطرون على تلك

الشركات يسعون الى ممارسة سلطات تتساوى مع سلطات الدولة داخل مؤسساتهم ، ويسعون بكل الطرق الى منع تدخل دولهم فى أى شأن من شئون مؤسساتهم الاقتصادية . وقصص الرجل الخارق للطبيعة هى نوع من التبرير أو الترويج لهذه السلطات المنفلتة التى يحرص على ممارستها رؤساء تلك المؤسسات ـ فهم فى واقع الأمر يتصرفون مثل تصرفات الرجل الخارق للطبيعة فى قصص الأطفال : إن كلا منهم يعتبر نفسه « سوبرمان » ، من حقه أن يحكم مؤسسته بالطريقة التى تحقق له أكبر الربح ، بغير تدخل من الدولة ، أيا كان شكل هذا التدخل . وهو فى هذا يضع قانونه الخاص ، ويطبقه بطريقته الخاصة ، وينفذ أحكامه بأجهزته الخاصة !!

ولا شك ان الترويج لمثل هذه السلطات المطلقة المتسعة ، البعيدة عن رقابة الدولة ، أمر يخالف تماما كل السياسات الاقتصادية التى تسعى اليها البلاد النامية مثل بلادنا ، والتى تخضع فى معظمها لأنواع مختلفة من التخطيط أو التنظيم الاقتصادى .

* * * *

يضاف الى هذا أن قصص الرجل الخارق للطبيعة تزيف الحياة ، عندما تجعل فى متناول البطل الثروة والسيارات والطائرات وكل وسائل الراحة ، دون ابراز أى جهد بذله للحصول على هذه الوسائل ، حتى أنه يحطم فى كل يوم ما يساوى عشرات الآلاف من الجنيهات ، بغير أسف أو ندم ، ثم يجد غيرها بنفس البساطة !!

هذا ، رغم أنه من أسس التربية السليمة ، أن ينشأ الأطفال على تقدير قيمة ما يملكون ، أو ما يتطلعون الى امتلاكه ، وأنه لابد من بذل الجهد للحصول على هذا الذى يتطلعون إليه .

* * * *

لقد أصدرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (اليونسكو) تقريرا هاما جدا عن صحف الأطفال وأفلامهم



واذاعاتهم فى مختلف بلاد العالم ، وبين هذا التقرير الأضرار الجسيمة التى تقدمها مجلات مثل « سوبرمان » « والوطواط » « وطرزان » ، وأكد التقرير ان : « مطبوعات الأطفال بشكلها الحالى ، تعد بغير شك فى الدرجة الثانية من حيث الوحى والإلهام ، فضلا عن خلوها من الأفكار الجديدة ، وأنها تبدى تساهلا لا حد له فى سبيل إرضاء ذوق جمهورها ، الذى يزداد ميله الى المغامرات ، ويتناقص ميله الى بذل أى مجهود ذهنى » .

وقال التقرير ان المؤلفين « يخترعون قصصا خيالية ، دون سند عقلى ، أو أساس علمى » .

ثم قال : « ويجب اعتبار أسطورة الرجل الخارق للطبيعة من المواد الواجب حذفها . يجب أن يختفى هذا الرجل ، لتحل محله مخلوقات انسانية معقولة قريبة من الواقع » .

* * * *

قصص طـرزان وازدراء الأجنـاس الملونة :

ومن بين القصص التى تنشرها الكتب والمجلات المترجمة ، عن دور نشر أجنبية تتاجر فى مطبوعات الأطفال ، تلك القصص التى تتضمن ازدراء الأجناس الملونة ، أو احتقار الحياة الانسانية والاستهانة بها ، مثل قصص الغرب الأمريكى التى تدور حول ابادة الهنود الحمر ، أو قصص طرزان التى تؤكد تفوق الرجل الأبيض .

ان قصص الغرب الأمريكى ، التى كثيرا ما تقدمها القصص المصورة المسلسلة فى كتب ومجلات الأطفال ، تؤكد لدى أطفالنا شعورا قويا بتفوق الرجل الأبيض ، وبتفاهة حياة سكان أمريكا الأصليين ، وبأن من حق الرجل الأبيض أن يقتلهم كما يقتل الحيوانات المتوحشة ، لا يمنعه من هذا انهم أصحاب الأرض الأصليين .

وهذه صورة تروج لها حاليا بعض الأقلام المغرضة فى الغرب ، وفى أمريكا خاصة . انهم يريدون أن يضعوا فى وعى أطفال العالم أن العرب وأهل فلسطين خاصة ، هم هنود حمر هذه المنطقة ! وهم بذلك يقيمون مشابهة مفتعلة ، تجعل مجتمع الغرب يتقبل عمليات ابادة وقتل العرب والفلسطينيين .

وهذه قضية يجب التنبيه اليها ومحاربتها ، ليس على مستوى الوطن العربى فقط ، بل على مستوى العالم كله ، لأنها أصبحت أحد الوسائل الأساسية فى الحرب النفسية والدعائية ضد المنطقة العربية كلها . ويكفى أن نرى الصورة البشعة التى ترسمها كتب الأطفال الصادرة فى اسرائيل عن الانسان العربى ، وأن نتذكر ذلك النداء المعادى لكل قيم الحضارة والانسانية ، الذى انتش منذ سنوات على صفحات كل صحف ومجلات أمريكا ، والذى يقول بغير خجل ولا حياء : « ادفع دولارا ، تقتل عربيا » .

* * * *

ومثل هذه الصورة نجدها أيضا فى قصص طرزان التى يلجأ فيها هذا العملاق الأبيض الى استعداء الحيوانات على أهل أفريقيا السود ، تقتل منهم من يرى أنهم أصبحوا أعداء له .

ويقول تقرير اليونسكو ، أن هذه القصص : « تصور الزنوج يسلكون سلوك الحيوانات ، ويبدو البيض دائما أرفع منهم وأسمى - كما أن الشعور العنصرى واضح فيها جدا » .

ويقرأ أطفالنا تلك القصص ، ويتحمسون لمواقف يرون فيها طرزان يستعدى أصدقاءه من الفيلة والقرود ، لتهجم على قرى أهل البلاد الأصليين ، فتحطم بيوتهم ، وتهدم أكواخهم ، وتدوسهم بأرجلها ، كل هذا لإرضاء نزعات تلك الشخصية التى تتصرف بعضلاتها وغرائزها ، بدل أن تتصرف بعقلها وحكمتها .

ان مثل هذه القصص ، بالاضافة الى ما فيها من ازدراء للأجناس الملونة ، تجعل الحياة الانسانية شيئا هينا فى وجدان الأطفال ، فى حين أن من أسس التربية السليمة أن نبنى فى نفوس الأطفال الاحترام للانسان مهما اختلف لونه ، وأن نؤكد احترام الحياة الانسانية والحفاظ عليها وتقديرها ، بل تقديسها ، مهما اختلف لون البشرة .

★★★★

لقد اجتمعت مجموعة من علماء الوراثة وعلماء الأجناس فى يوليو سنة ١٩٥١ تحت رعاية اليونسكو ، لتنظر فيما يمكن أن يقال عن الأجناس ، فى ضوء آخر ما توفر عن المعلومات العلمية - وانتهى هذا الاجتماع ببيان عن « طبيعة الجنس واختلافات الأجناس » ، صدر فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ .

وقد جاء فى هذا البيان : « لم نجد صعوبة فى الاتفاق على أنه لم يتوصل أحد للبرهنة على وجود اختلافات فى المقدرة العقلية الفطرية بين المجموعات الجنسية المختلفة . بل ان التفاوت بين الناس بغض النظر عن أجناسهم أشد من التفاوت بين الأجناس » .

كما جاء فى نص البيان : « يتفق العلماء بوجه عام ، على أن كافة الناس الذين يعيشون اليوم ، ينتمون الى نوع واحد هو « الانسان العاقل ، وينحدرون من عنصر مشترك » .

كما قالت : « لا تكفل المعلومات العلمية المتوفرة لدينا أى أساس للاعتقاد بأن مجموعات النوع البشرى تختلف فى مقدرتها الفطرية على التطور العقلى والانفعالى » .

- لكن هناك فى الغرب من يحاول تجاهل هذه الحقائق العلمية ، التى تؤكد تساوى البشر جميعا ، وذلك فى سبيل تحقيق أغراض سياسية . وهم للأسف يبدأون هجومهم على عقول ووجدان الأطفال ، وهو أمر يجب التنبه اليه ، ومقاومته بيقظة وحسم .

ولعل من أخطر ما يقابلنا فى كتب الأطفال ومجلاتهم المترجمة ، تلك القصص التى تمجد العنف كوسيلة لحل المشاكل ، والتى تجعل القوة البدنية هى العامل الأقوى فى حسم مختلف المواقف . وهو أمر نجده فى كثير من قصص المغامرات وقصص الجاسوسية ، وأيضا فى قصص سوبرمان وطرزان .

وفى هذا يقول مؤتمر اليونسكو الذى عقد فى مارس سنة ١٩٥٢ بايطاليا لبحث موضوع الرقابة على صحف الأطفال :

« نظرا اما لاحظه المؤتمر على صحف الأطفال من تصويرها الحياة لقرائها ، على أنها سلسلة طويلة من الفخاخ المؤذية التى يجب عليهم أن يكافحوا لتفاديها ، ومن الكفاح الدائم « للانتقام » للأرامل واليتامى ومن اليهم ، فانها تناشد هذه الصحف الحد من عنف موضوعاتها ، وأن تفضل عليها الموضوعات الهادئة المتزنة » .

كما يقول تقرير اليونسكو : « فى هذه القصص ، فان أعمال أشخاص الرواية فى المعسكرين المتضادين يظهر انها لا تنبعث إلا عن الضغينة أو الجشع ، مع أن هناك بواعث أخرى يمكن أن تضاف الى هذين الباعثين » .

« وتدور جملة القصة دائما حول القتل ، ومحاولة بعض الأفراد الاعتداء على حياة الناس . ومن شأن هذا أن يحدث فى نفوس الأطفال عقدة الاعتداء ، وينفرهم من المجتمع بشكل قاطع » .

★ ★ ★ ★

ان هذه القصص تؤدى الى تصوير العنف تصويرا مبهرا أمام الأطفال ، وكأنما فيه حل لكل المشاكل ، فى حين أن تاريخ الحضارة هو تاريخ احلال العقل محل القوة ، وعندما نقدم للأطفال شخصيات مثل طرزان ، الذى تربى بين الحيوانات ، والذى لا يعرف وسيلة لحل ما

يواجهه من مشكلات الا القوة البدنية ... وعندما نقدم للأطفال شخصيات مثل سوبرمان ، الذى يتغلب على كل من يقف فى طريقه عن طريق القتل ... عندما نقدم للأطفال مثل هذه القصص فى الكتب والمجلات والتليفزيون ، فان الأطفال سيسقطون من سلوكهم كل ما قدمه لنا تاريخ الحضارة من وجوب استخدام العقل فى حل المشكلات بدلا من القوة .

ان مثل هذه القصص تتنافى مع أهم أهداف التربية السلوكية للأطفال . فأول ما نهتم بغرسه فى أطفالنا ، هو تدريبهم على مواجهة المشكلات وحلها بنجاح ، عن طريق استخدام العقل ، مع استبعاد القوة البدنية بشكل شبه كامل .

ان « الأوديسا » عندما تحكى قصة « أوليس » مع « السيكلوب » ذى العين الواحدة ، تبين كيف استطاع الانسان الضعيف بجسمه ، القوى بعقله ، أن يتغلب على ابن الالهة القوى بجسمه ، الضعيف فى عقله . ومن غير المقبول أن يعلم اليونان القدماء أبناءهم ، منذ ثلاثة آلاف سنة ، الاعتماد على العقل واستبعاد القوة لحل المشكلات ، ثم نأتى نحن ، فى نهاية القرن العشرين ، لنقص على أطفالنا قصص الجاسوسية ، ومغامرات العنف وطرزان وسوبرمان ، فنلغى بها كل انجازات الحضارة من فكر وحكمة ، عندما نؤكد بما نترجمه لأطفالنا من تلك القصص ، أن القوة هى الوسيلة الحاسمة لحل المشكلات التى تواجه الانسان !!

المنافسة حتى الموت :

ومن بين القصص التى تترجم لأطفالنا ، تلك القصص التى تدور حول المنافسة بين طرفين ، وتجعل الصراع حتى الموت هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء التنافس بين الأطراف المتنازعة .

ان هذه القصص تقدم الى أطفالنا بأسلوب فيه كثير من الفكاهة ، كما تقدم عادة بأسلوب « الكومكس » أو الرسوم المسلسلة . وأوضح

مَثال لها القصص التى تدور حول شخصيات الكارتون « توم وجيرى » .



ان الموضوع الرئيسى المتكرر فيها هو ما يدبره كل طرف للطرف الآخر من أساليب للأذى !! واذا كنا نضحك ونحن نقرأ هذه القصص ونشاهد رسومها ، فان الطفل الذى يطالعها أسبوعا بعد أسبوع فى مجلته ، أو يقرأها فى كتبه التى يشتريها لنفسه أو نشتريها له ، سيتركز فى وعيه نمط خاطىء من السلوك ، من السهل تقليده والتمثل به ، لما فيه من تنمية للاحساس بالتفوق على الآخرين ، برغم ما يسببه لهؤلاء الآخرين من أذى وأضرار .

* * * *

هذا بالاضافة الى أن مثل هذه القصص هى نتاج مجتمع يؤمن بالمنافسة الاقتصادية الحرة فى أوسع صورها . وهى منافسة تسمح لمن يمتلك القوة الاقتصادية الأكبر أن يقضى بغير شفقة على الأضعف اقتصاديا ، تحت شعار « مصلحة السوق » .

ورغم أن هذا المبدأ قد دخلت عليه قيود كثيرة فى كل بلاد العالم بغير استثناء ، فان هذه القصص الضاحكة المريرة ، لاتزال تؤكد شرعية هذه المنافسة القاتلة ، التى لا تتناسب لا شكلا ولا موضوعا مع احتياجات وأوضاع مجتمعاتنا النامية ، التى تقوم على التعاون وليس على التنافس ، وعلى التخطيط لا على الاقتصاد الحر غير المقيد .

خاتمـــة :

ان كثيرا من قصص الأطفال المترجمة ، بل ان أكثر قصص الأطفال المترجمة رواجا ، انما هى تعبير عن أوضاع مجتمعات تختلف كثيرا فى أهدافها عن مجتمعنا . ولابد أن نتنبه لما تتضمنه هذه القصص من أخطار ، رغم ما فيها من سهولة وجاذبية وتشويق لأطفالنا .

ان المواد المترجمة للأطفال لابد أن تخضع لتدقيق حاسم شديد ، حتى لا تفسد كثيرا مما نريد أن نغرسه وننميه فى أطفالنا .

(٢)

القيم التربـــوية
فى قصص الاطفال المأخوذة عن
الف ليلـة وليلـة

كنت فى العاشرة من عمرى ، عندما بدأت أقرأ ، للمرة الأولى ، ذلك الكنز الخالد من الحكايات الشعبية العربية « ألف ليلة وليلة » .

وقبل أن تقع بين يدى النسخة الكاملة بأجزائها الأربعة ، كنت قد سمعت ثم قرأت ، قصص « علاء الـدين » . و « على بـابا » و « السندباد » لكن قراءة النص الأصلى ، فتحت أمامى عالما من السحر والخيال ، لا أزال أنهل منه الى الآن .

وبعد كثير من التأمل ، وعندما كنت أعاود قراءة الكتاب للمرة الثالثة أو الرابعة ، بدأ يتكشف لى سر ذلك السحر الذى انطوت عليه قصص النصّ الأصلى : لقد كان الراوى يجلس بين مستمعيه ، ليلة بعد أخرى ، يشد انتباههم ، ويسيطر على مشاعرهم ، ويغير فى النص أو يضيف إليه ، حتى يصل الى أقصى درجة من درجات السيطرة على مستمعيه ، يوما بعد يوم ، وحتى تنسجم الحكايات مع قيم المستمعين وعاداتهم .

واذا كانت ألف ليلة تقدم لنا سجلا زاخرا للعادات ، والتقاليد ، وأساليب الحياة ، والقيم ، فى كثير من المجتمعات العربية ، وفى المجتمع المصرى على وجه الخصوص ، فانها تقدم لنا أيضا درسا ثمينا فى علاقة الفنان بجمهوره .

وكتاب ألف ليلة رواه الرواة ، ونسخه النساخ ، لجمهور كله من الراشدين ، فهو يمتلىء بما تزخر به حياة البالغين من حب وحقد ،

وواقع وخيال ، وعلاقات عاطفية سوية أو غريبة شاذة . انه كتاب يقدم صورة زاخرة بالحياة للبشر والمجتمع ، وما يدور أيضا فى الخيال والنفوس . لهذا أقبل عليه الكبار فى كل أنحاء العالم العربى ، وفى كل بلد ترجم الى لغته ، فعاشت قصصه فى وجدان معظم شعوب الأرض ، شرقها وغربها ، وتأثر به الكتاب والمؤلفون ، والشعراء والقصاصون .

* * * *

ومثلما تنبه من بدأوا الكتابة للأطفال فى الغرب ، الى أسلوب اعادة صياغة الروائع الموجهة أصلا للكبار ، بحيث تناسب الصغار ، فقد تنبهوا أيضا الى قصص « ألف ليلة وليلة » فأعادوا صياغة عدد كبير منها لتناسب الأطفال .

لقد كان الصغار يستمعون الى هذه القصص الموجهة الى الكبار ، فيأخذون منها ما يستطيعون فهمه . وهم فى أثناء ذلك يعايشون قيما وتعبيرات ليست موجهة اليهم أصلا ، ويتأثرون بمواقف وصور لجأ اليها القاص للاستحواذ على اهتمام الكبار ، وتوصلا الى قبولهم ورضاهم ، ولم يقصد بها الأطفال أبدا . لذلك لا نستطيع أن نحاسب نص كتاب « ألف ليلة » الأصلى بنفس المعيار الذى نحاسب به القصص الموجه الى الأطفال ، فألف ليلة لم تكتب أصلا للصغار .

لكن عندما تنبه من يكتبون للأطفال الى امكانيات هذا الكنز العظيم من الحكايات ، أصبح لزاما عليهم مراعاة مختلف متطلبات واحتياجات مراحل الطفولة ، التى يوجهون اليها كتاباتهم .

* * * *

ولا شك أن من أعادوا صياغة حكايات ألف ليلة للأطفال ، قد تأثروا هم أيضا بالقيم التى كانت سائدة فى الزمان والمكان الذى يوجهون الى أطفاله ما يكتبون . كذلك تأثرت كتاباتهم بمدى متابعتهم للحقائق التربوية والنفسية التى أخذ علماء التربية وعلم النفس يكتشفونها ببطء خلال القرن الأخير ، لتؤثر ف مختلف أساليب تربية الأطفال .

وكانت أهم قضية تواجه من أعادوا كتابة حكايات ألف ليلة للأطفال ، هى التوفيق بين سحر الحكاية الشعبية ، وبين متطلبات الأصول التربوية والنفسية عند التعامل مع الأطفال الذين يخاطبونهم . فلا جدوى من نزع عنصر التشويق وسحر الخيال عن القصة لتصبح موافقة للقواعد التربوية ، ذلك أن الأطفال فى هذه الحالة لن يقبلوا على قراءة القصة ولا الاستماع اليها .

كما أنه ، فى مقابل هذا ، قد يكون مضرا بالأطفال أن يهتم الكاتب بعناصر التشويق والجذب ، خاصة بمشاهد الرعب والقسوة ، فيقرأ الأطفال القصة أو يستمعون اليها فى شغف ، لكنها تترك فى النهاية أثرها السلبى على نفوس وعقول الأطفال .

* * * *

ولعلنا ، اذا تناولنا أحد النماذج البارزة للقصص الذى اسمتده المؤلفون من حكايات ألف ليلة وليلة ، ليعيدوا تقديمه الى الأطفال ، وهى قصة « علاء الدين » ، أن نستطيع ابراز بعض جوانب هذه القضية الهامة ، فى مجال اعادة صياغة حكايات التراث الشعبى ، لاستخدامها موضوعا لأدب الأطفال ..

« عـــلاء الدين والمصباح السحرى »

تمثل قصة « علاء الدين والمصباح السحرى » واحدة من ثلاث قصص ، لاقت أكبر انتشار فى أدب الأطفال من بين قصص ألف ليلة وليلة هى : علاء الدين ، وعلى بابا ، والسندباد . فنحن نجد الكتب والمسرحيات والأفلام والبرامج التليفزيونية والاذاعية المستمدة من هذه القصص ، منتشرة فى معظم لغات العالم .

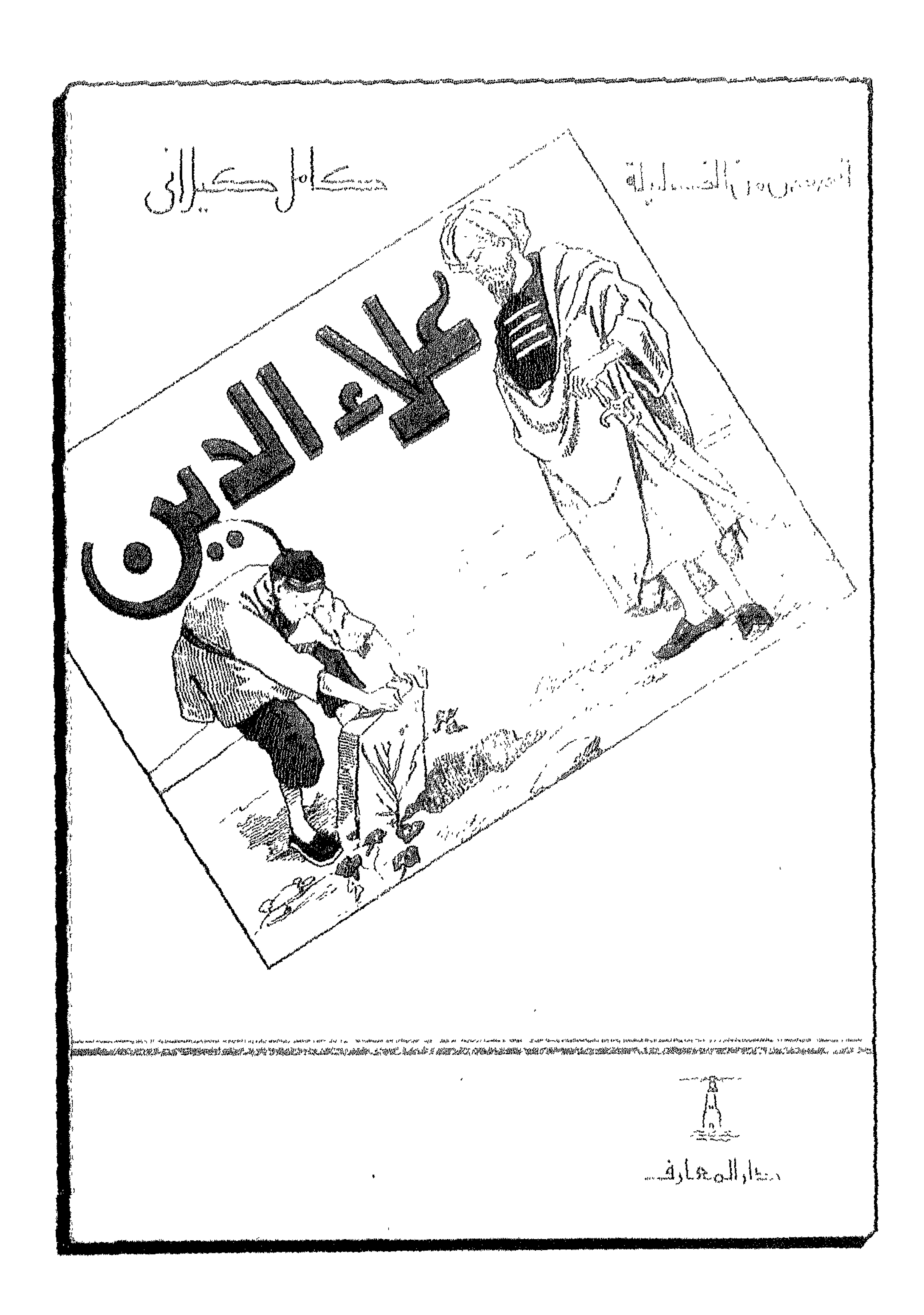
وتبدأ الصياغة التقليدية لقصة « علاء الدين » ، بأنه كان يوجد فى بلاد الصين خياط ، له ابن اسمه « علاء الدين » . وتقول تلك الصياغة ، والتى يمثلها الكتاب الذى كتبه بقلمه « كامل كيلانى » ، ان علاء الدين كان : « يقضى يومه كله خارج البيت ويلعب مع أشباهه

يقضى يومه كله في خارج البيت ، ويلعب مع أشباه
الأولاد الذين ألفوا البطالة واللعب ؛ حتى ساء خلقه ، وصار
بعد قليل من الزمن — أسوأ مثال للأطفال . وكان « علاء الدين »
على ذكائه — شديد العناد ؛ فقد نصح له أبوه أن يقلع عن معاشرة
الأشرار (يترك مصاحبتهم) ، ويبتعد عن رفقاء السوء . وحاول
جهده — أن يعلمه صناعة تنفعه إذا كبر ؛ فلم يتقبل له نصحا ،
اعت جهود أبيه بلا فائدة . فاضطر أبوه إلى

من الأولاد ، الذين ألفوا البطالة واللعب ، حتى ساء خلقه ، وصار أسوأ مثال للأطفال » . (ص ١٠) .

ثم يقول : « وحاول ـ أبوه ـ أن يعلمه صناعة تنفعه اذا كبر ، فلم يقبل له نصحا ، وضاعت جهود أبيه بلا فائدة ، فاضطر أبوه الى معاقبته وزجره ، واتخذ معه وسائل العنف بعد أن أخفقت فى اصلاحه وسائل اللين ، ولكن علاء الدين لم يبال بعقاب أبيه ، ولم يؤثر فيه زجره وشدته ، حتى يئس أبوه من اصلاحه » .

ان هذه الصورة التى تبدأ بها القصة ـ والتى تؤكد أسلوب العقاب والعنف فى التربية ، وهو أسلوب تدينه كل أساليب التربية الحديثة ـ تعطينا أسوأ مثال لسلوك طفل . فهو يرفض التعليم ، وهو سىء الخلق ، وهو لا يبالى بعقاب أبيه . ولا شك أن مثل هذه المقدمة لا يمكن أن تهيىء صاحبها للفوز بحظ عظيم فى الحياة . ومع ذلك ، فان هذه الشخصية هى التى تفتحت لها أبواب الثراء على اتساعها ، وصاحبها هو الذى تزوج فى النهاية ابنة الامبراطور !!


كامل كيلاني
علاء الدين
دار المعارف

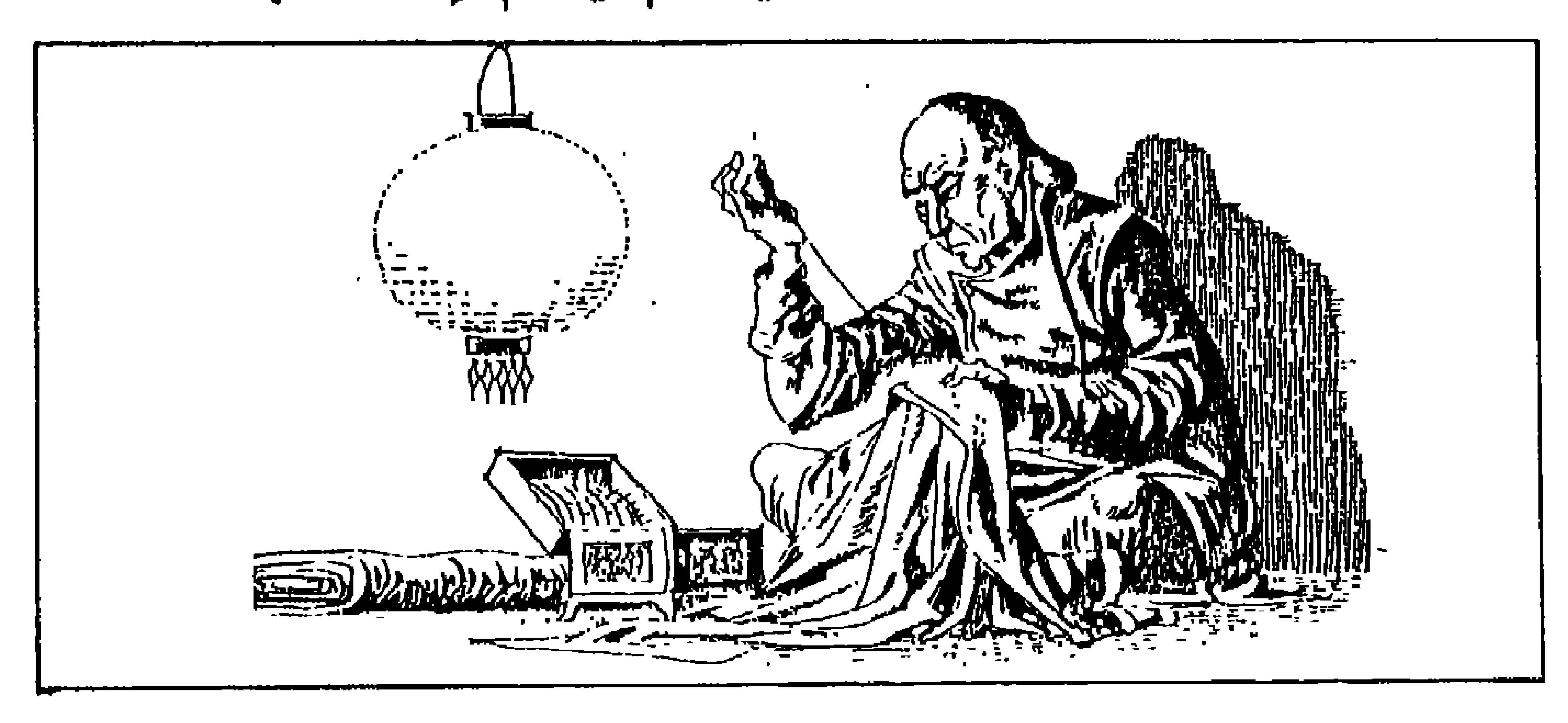
انها صورة قد تشجع الصغار على عدم الاكتراث بالعلم أو السلوك السليم ، مادام الحظ لا علاقة له بقيمة العلم أو جمال السلوك .

وقد أحس كامل كيلانى بهذا الأثر السلبى على نفوس القراء ، فانتهز فرصة فى صفحة ٣٥ ليقول : « وكان علاء الدين حينئذ قد كره مصاحبة الأشرار ، وشعر بواجبه نحو أمه ونفسه ، فعاشر أخيار الرجال وسراة الناس ، وأفاد من آرائهم وخبرتهم » . ـ لكنه لم يقل ذلك الا بعد أن كان علاء الدين قد حصل فعلا على المصباح السحرى ، واستفاد بما قدمه له جنى المصباح من ذهب وثروة .

* * * *

وفى صياغة عربية أخرى لنفس القصة ، هى التى صاغها « سليمان العيسى » ، ونشرها فى سلسلة « أساطير وحكايات شعبية » ، ضمن منشورات « ليدبيرد » ، نجد الكاتب لا يتوقف كثيرا عند حب علاء الدين للعب ، فكل الصغار يحبون اللعب ، بل ان القواعد التربوية تفرض على الوالدين والمدرسين والمربين ، أن يتيحوا للصغار كل امكانيات اللعب ، وألا يضيقوا أبدا بلعب الأطفال .

وفى هذا النص ، تأتى الاشارة الى المقدمة التقليدية لقصة « علاء الدين » فى عبارة سريعة فيقول : « وقد رغب مصطفى والد علاء الدين أن يتعلم ابنه أصول الخياطة وصنع الملابس ، حتى يعاونه فى مهنته ، ولكن علاء الدين لم يتعلم إلا اللعب فقط » .




أساطير وحكايات خرافية
علاء الدين
والمصباح السحري

ثم يضيف النص عبارة واحدة أخرى ، بعد وفاة والد علاء الدين ، فيقول ان الأم قالت لابنها : « أتمنى لو أنك تساعدنى قليلا من حين الى آخر . ولكنه لم يعر كلامها أدنى اهتمام » .

وعلى هذا النحو ، ابتعد هذا النص عن تضخيم صورة الطفل السيىء ، حتى لا تتعارض تربويا مع ما سيصيب هذا الطفل من حظ عظيم فى مستقبل الأيام .

★ ★ ★ ★

أما النص الذى نقلته دار المعارف ـ لبنان ، عن مؤسسة « والت ديزنى » ، فقد أغفل تماما موضوع كسل « علاء الدين » ، واهتامه باللعب ، واستثارته غضب والديه ، فيبدأ القصة بقوله مباشرة : « فى قديم الزمان ، وفى مدينة بعيدة .. بعيدة ، عاش علاء الدين مع أمه الطيبة الفقيرة . كان علاء الدين يذهب كل يوم الى السوق يبحث عن عمل ، ولكنه كان يعود الى بيته كما جاء منه . كان الكل يخاف أن يعطيه عملا لضعفه وصغر سنه » .

★ ★ ★ ★

واذا كانت القصة فى أصولها الأولى ، تواجه مجتمعا كان الطفل فيه يبدأ حياته صبيا فى حرفة ، وعندما يبلغ الخامسة عشرة يكون قد أصبح ماهرا فى عمل أو صناعة ، وهذا أمر يتطلب اهتمام الطفل بحرفته وامتناعه عن اللعب ، فاننا الآن فى مجتمع تحرم فيه القوانين أن يعمل الأطفال فى مثل هذه السن المبكرة ، بل ويؤكد علماء التربية ضرورة ترك الطفل يلعب فى مثل هذه السن .

وهكذا نرى أن صياغة دار المعارف لبنان ، قد تكون أقرب الصياغات الى ما يتطلبه مجتمعنا الحالى من الطفل ، والى ما تشير به الأصول التربوية ، بل والتشريعية القانونية . وان كانت الصياغة الأصلية للقصة تتناسب مع المسئوليات والواجبات التى كانت تلقيها المجتمعات السابقة على كاهل الصغار .

★ ★ ★ ★

وفى نفس القصة ، تواجهنا الطرق الاحتيالية التى لجأ اليها الساحر ، لايهام علاء الدين بأنه عمه .

ونرى مثلا لها فى الصياغة التى يقدمها كامل كيلانى ، أن الساحر يتظاهر بالشفقة والعطف على علاء الدين وأمه ، بل يصل بنا الأمر أن نقرأ فى صفحة (١٨) ، أن الساحر « ما ان رأى أم علاء الدين حتى بكى ، متظاهرا بالحزن على زوجها وسألها : خبرينى يا زوج أخى العزيز : فى أى مكان كان يجلس أخى المرحوم ؟ فأشارت الى أريكة فى زاوية الحجرة ، وهى أريكة طال عليها القدم ، فاشتد بكاء الساحر وجزعه ، فطلبت اليه السيدة أن يجلس فى مكان أخيه ، فقال لها متألما : لا أستطيع أن أجلس مكانه ، فاننى لأتخيله الآن جالسا معنا ، وقد أشرف علينا روحه الطاهر ، رحمة الله عليه . لقد كان يحبنى كما أحبه أشد الحب ، ولكن الله لم يشأ أن ألقاه وأنعم بحديثه قبل أن يموت » .

ان هذا الاطناب فى شرح تظاهر الساحر بحب علاء الدين والاهتمام بأمه ، وفاء لذكرى والد علاء الدين ، خاصة وأن الأم قد صدقت هذا الادعاء ، قد يؤدى الى تشكك الأطفال فى كل من يبدى نحوهم مثل هذا الحب ، فيتزعزع احساسهم بالأمان ، ويفتقدون الشعور بالطمأنينة .

* * * *

وقد تجنبت الصياغة التى كتبها « سليمان العيسى » ، ما يثيره هذا الموقف من سلبيات ، فلم تتحدث عن عواطف خادعة أو حب مصطنع ، بل قدمت لنا الأم غير مقتنعة بما يدعيه الساحر ، فتقول فى صفحة ٧ : « لم أكن أعلم أن لزوجى أخ ، ولا أذكر أنه حدثنى عنك فى يوم من الأيام ..» .

أما نص كامل كيلانى ، فيقول ان الأم : « أيقنت أن الله سبحانه قد أجاب دعاءها لولدها ، فأرسل اليه هذا الملك السماوى الكريم ، ليبدل شقاوته سعادة ، وفقره غنى » .

× × ×

واذا رجعنا الى النص الذى ترجمته دار المعارف عن مؤسسة ديزنى ، نجده قد أغفل ادعاءات الساحر وحيله كلها ، فيقول فى عبارات قليلة : « وفى أحد الأيام ، قابله رجل غريب ، وشعر بحاجة علاء الى العمل ، فسأله : ما رأيك لو أعطيتك عملا نظير عملة ذهبية ، فلدى عمل يتطلب واحدا فى مثل حجمك الصغير ؟ فرح علاء الدين ، وتبعه فى الحال » .

* * * *

وتواجهنا فى القصة التقليدية صورة ثالثة ، تبرز قسوة الساحر على علاء الدين ، وهى صورة تثير فزع الأطفال ورعبهم . ولنقرأ نموذجا لها فى صياغة كامل كيلانى (صفحة ٢٣) ، عندما طلب الساحر من علاء الدين دخول الكنز : « فزع علاء الدين مما رأى ، وتملكه الخوف ، وهم بالفرار من فرط الذعر (من شدة الخوف) فصفعه الساحر (ضربه بيده مبسوطة على وجهه) صفعة شديدة ، فارتجف علاء الدين وعجب من قسوته ، ويقول النص ان الساحر عاد يلاطف علاء الدين : « ففرح علاء الدين ... وقبل يد الساحر شاكرا له ذلكم الصنيع » .

واذا استطعنا أن نتحمل مشهد « تقبيل اليد » ـ وهو مشهد يتكرر فى أكثر من موضع من هذه الصياغة ، (أيضا صفحة ٩٢) ، فاننا نلاحظ أن هذا التصرف القاسى من الساحر لا أثر له فى تطور أحداث القصة أو حبكتها . لهذا فان النص الذى صاغه « سليمان العيسى » قد حذف تماما كل مظاهر قسوة الساحر على علاء الدين .

ونفس الشىء فعلته صياغة « مؤسسة والت ديزنى » . ولكنها حرصت على التشويق وجذب القارىء ، فتقول انه عندما ظهرت فتحة مدخل الكنز الصغيرة ، فقد « سأل علاء الدين وصوته يرتعد من الخوف : أأدخل فى هذا المكان ؟ أجابه الرجل نعم .. نعم . ان هذه الفتحة هى المدخل الوحيد .. أسرع .. أسرع ، فالفتحة لا تبقى مفتوحة لفترة طويلة » .

* * * *

وعندما يغلق الساحر باب الكنز ، ويترك علاء الدين حبيسا داخله ، فان كامل كيلانى ينتهز هذه الفرصة ليعطى القارىء درسا فى جزاء عدم طاعة نصائح الأم والأب ، فيقول فى صفحة ٢٩ ، ان علاء الدين : « أيقن أنه سيهلك ، وعلم أن هذا الكنز سيكون قبره ، فأسلم أمره لله ، وظل فى هذا الضيق يومين كاملين ، وكان يذكر فى كل لحظة ما كان يجلبه على أبيه وأمه من الكدر ، لكثرة عصيانه وعناده ، فيندم على ذلك أشد الندم ، ويعلم أن الله سبحانه لم يوقعه فى هذا المأزق الحرج إلا معاقبة له على سوء عمله » .

★ ★ ★ ★

ويقابلنا أيضا فى هذه القصة ، وقف آخر ، يتعلق باثارة الرعب فى نفوس القراء كوسيلة للجذب والتشويق . فعندما يتعرض نص كامل كيلانى لجنى المصباح ، يقول انه ظهر أمام والدة علاء الدين : « جنى هائل الجسم ، وصرخ بصوت عال كالرعد .. فامتلأ قلبها رعبا ، وارتمت على الأرض من شدة الفزع » (صفحة ٣٢) وفى



صفحة ٣٤ يقول ان الأم : « طلبت من ولدها أن يبيع المصباح فى السوق ، أو يخبأه فى مكان بعيد ، حتى لا ترى الجنى أمامها مرة أخرى » .

أما النص الذى كتبه « سليمان العيسى » ، فلم يذكر كلمة واحدة تثير الرعب بسبب خصائص الجنى أو شكله ، بل يجعل الأم تفزع فزع الانسان العادى عندما يواجه ما لم يكن يتوقعه ـ فيقول فى صفحة ٢٤ « وتناولت المصباح .. ولم تكد تدعكه حتى انطلقت سحابة من الدخان الأسود ، وانتصب أمامها رجل غريب الهيئة ، ثم انحنى وخاطبها قائلا : أنا خادم المصباح . وقفزت أم علاء الدين مذعورة ، وسقط المصباح من يدها ، فقال لها ابنها وهو يلتقط المصباح من الأرض : لا تخافى يا أمى . ليس هناك ما يفزع » . وهكذا اكتفى هذا النص بان يصف الجنى بأنه رجل غريب الهيئة ، وهذا يكفى لاثارة شغف الأطفال ، بغير اثارة مخاوفهم .

★ ★ ★ ★

أما النص الذى قدمته دار معارف لبنان عن والت ديزنى ، فقد احتفظ بقدر من مظهر الخوف الذى أصاب علاء الدين عندما رأى المارد . فيقول : « ذهل علاء الدين وتسمر فى مكانه ، وزاد ذهوله عندما ظهر مارد كبير وسط الدخان قائلا فى صوت هادر كالرعد : شبيك .. لبيك .. خادم المصباح بين يديك ، يلبى لك ما تريد . أجاب علاء الدين فى صوت مرتعش : أريد أن أعود الى البيت » . ـ وهكذا لم يسرف هذا النص فى اثارة خوف الأطفال من المارد .

★ ★ ★ ★

وفى صفحة ٩١ من كتاب الكيلانى ، وصف تفصيلى آخر يثير رعب الصغار والكبار ، يقدم فيه الكاتب مشهد قيام شقيق الساحر بقتل فاطمة الزاهدة ، هذا نصه : « حسبت أنه يشكر لها فعلها ، ويبر بقسمه لها ، ولكن خاب ظنها فيه ، فقد أمسك رقبتها بيديه ، وضغط عنقها ضغطا شديدا ، ولم يرحم ضعفها وشيخوختها ، ولم يتركها الا

جثة هامدة . ثم ألقى بجثتها فى البئر . وقد آثر الساحر أن يخنقها ، ولم يشأ قتلها بخنجره ، حتى لا يلوث ملابسه بدمها . ولما انتهى من جريمته الشنعاء . نام فى صومعتها نوما عميقا الى الصباح ! » .

ان الخوف هو احدى القوى التى تعمل على البناء أو الهدم بالنسبة لتكوين شخصية الأطفال ، وقد يؤدى الخوف الى تشتيت الطاقة العقلية ، بدلا من توجيهها الى الأهداف النافعة .

وأكثر مخاوف الأطفال تثور بسبب أنواع الخبرة التى يتعرضون لها فى سنواتهم الأولى . ومن أكثر هذه الخبرات تأثيرا ، ما يسمعونه وما يقرأونه من قصص .

ان أكثر المخاوف التى يعانى منها الطفل ، يغلب أن تكون تقليدا لمواقف رآها فى أهله ، أو سمعها فى قصص ، واقعى أو خيالى ، قرأها ، أو سمعها . فاذا استخدمت القصص عنصر اثارة الرهبة والخوف كوسيلة للتشويق وجذب الانتباه ، فان الطفل قد ينتشى عند سماع القصة نهارا ، وهو فى حمى الكبار ، لكنها تملؤه خشية ورعبا عندما يصبح وحيدا فى هدأة فراشه أو غرفته ، فنجد حياته وقد أصبح يسيطر عليها الخوف من الظلام أو الحيوانات أو اللصوص أو رجال الشرطة أو العفاريت ، أو حتى الخوف من مجرد الخروج الى الطريق العام ، أو من مواجهة الناس والحياة . وهذا الخوف اذا اتسع مداه ، أو زادت شدته ، أصبح سببا لعجز الطفل واعاقة نشاطه .

★ ★ ★ ★

وعندما أراد علاء الدين أن يتزوج من ابنة الامبراطور ، فان الصياغة التقليدية القديمة ، تنتهز هذه الفرصة لتؤكد سمو مركز الامبراطور ، وعدم جواز تطلع الفرد العادى الى أى نوع من العلاقات الاجتماعية مع الامبراطور أو أسرته ، تأكيدا لتميز شخص وسلطان الحاكم المطلق ، الذى يستند سلطانه الى ما كان الغرب يسميه « حق الملوك الالهى فى الحكم » .

يؤكد هذه الصورة ، النص الذى كتبه كامل كيلانى (صفحة ٣٨) فعندما يقول علاء الدين لأمه : « قد رأيت فى هذا اليوم ابنة امبراطور الصين ، وما أن أبصرتها حتى طمحت نفسى الى الزواج بها ، صرخت أمه مدهوشة ثائرة ، وقالت متعجبة حائرة : ابنة امبراطور الصين العظيم ، يتطلع الى الزواج بها علاء الدين الصغير ، ابن مصطفى الخياط الفقير !! لاشك فى أنك جننت يا ولدى !! » .

لكن ، لما كان انتشار الديمقراطية قد قضى على هذه الذات المصونة للحاكم ، فان الصياغات المتلائمة مع العصر كان لابد أن تراعى هذه الحقيقة . فنجد فى صفحة ٣٠ من النص الذى أعاد حكايته سليمان العيسى ، عندما قال علاء الدين لأمه : « أريد أن أتزوج الأميرة .» أجابت الأم : « لكن لابد من موافقة الملك . ان الجواهر التى لديك يمكن أن تقدمها هدية لهذه المناسبة » . فنحن لم نعد نوافق على أن نرسخ فى أذهان الأطفال أن الحاكم من طبقة لا يجوز أن تتطلع اليها بقية الطبقات ، وأنه بالتالى فوق الخطأ وفوق النقد .

★ ★ ★ ★

أما فى النص الذى تقدمه دار معارف لبنان عن والت ديزنى ، فان علاء الدين لم يجد حاجة لوساطة أمه فى هذا الزواج ، وجعلت هذه الصياغة علاء الدين يتولى بنفسه مسئولية طلب الزواج . فيقول هذا النص : « أن علاء الدين ، بعد أن شاهد بنت السلطان داخل هودج ، سار حتى وصل الى قصر السلطان ، فاعترضه حارسان قويان ، فبادرهم علاء الدين بقوله فى لهفة : « أريد مقابلة السلطان لأمر هام . ذهب أحد الحراس للسلطان ليخبره بأن هناك ولدا فقيرا يريد مقابلته ، فوافق السلطان ، وأمر بادخال الضيف الصغير اليه » ..

وهذه الصياغة الأخيرة ، هى أقرب الصياغات لروح العصر ، وللصورة التى يجب أن نعطيها للطفل عن علاقة الحاكم بالمحكوم .

★ ★ ★ ★

وفى صفحات النص الذى كتبه كامل كيلانى بقلمه ، تشيع بالحاح فكرة الانتقام والثأر .

ففى صفحة ٤٧ ، يقول أن علاء الدين ، بعد أن سمع أن الأميرة ستتزوج ابن كبير الوزراء : « اهتدى الى خطة حاسمة ، يثأر بها لنفسه وينتقم » .

وفى صفحة ٦٨ ، وجد الساحر أن علاء الدين قد خرج من قصره للصيد ، فرأى : « أن الفرصة سانحة للانتقام » .

وفى صفحة ٧٠ أن الساحر : « صبر حتى جاء المساء ، وقد عزم على الانتقام من خصمه علاء الدين » .

وفى صفحة ٧٢ ، وعندما اختفى قصر علاء الدين فان كبير الوزراء : « رأى الفرصة سانحة للكيد لمنافسه علاء الدين » .

وفى صفحة ٧٥ : « رأى الامبراطور من الحكمة أن يعدل عن قتل علاء الدين ، وأن يؤخر من انتقامه منه حتى تهدأ خوار الناس » .

وعنوان الفصل السادس فى صفحة ٧٨ « انتقام علاء الدين » .

وفى صفحة ٨٢ ، « عزم علاء الدين على الانتقام من الساحر ... ودبر مع زوجه الوسيلة التى يسلكها لاهلاكه » .

وبعد سطرين فى نفس الصفحة ، يكرر قوله :« خرج علاء الدين ، وقد أضمر الانتقام من عدوه الساحر » .

وفى صفحة ٨٦ ، عندما عادت الأميرة الى والدها الامبراطور : « قصت عليه كل ما وقع لها ، وكيف انتقم علاء الدين من الساحر ، وألقى بجثته الى النسور » .

وفى صفحة ٨٨ ، فان شقيق الساحر : « بنى عزمه على الانتقام لأخيه من علاء الدين ، كلفه ما كلفه من عناء وأهوال وأخطار » . وأنه« دبر خطة خبيثة لقتل عدوه والخلاص من » .

ان هذا التأكد المتكرر على فكرة الانتقام ، يسبغ على الثأر ، فى وجدان القارىء الصغير ، نوعا من الشرعية والتبرير .

ولعل أخطر ما فى موضوع الانتقام هنا ، هو هذا التحيذ والقبول لفكرة انتقام علاء الدين من الساحر ، خاصة عندما نجد أنفسنا أمام صورة بشعة من صور الانتقام . فهذا علاء الدين يقول للجنى : « آمرك أن تحمل هذا الرجل ، فتلقى به من قمة طود شاهق الى الأرض ، لتأكله الوحوش وجوارح الطير » . (صفحة ٨٤) .

وتبدو القسوة فى هذا الانتقام ، عندما نقارنه بعفو الامبراطور عن علاء الدين ، « بعد أن كاد السياف يهوى بالسيف على رقبة علاء الدين » عند الحكم باعدامه . (صفحة ٧٥) .

★★★★

أما فى النص الذى صاغه « سليمان العيسى » ، فهو لا يذكر شيئا عن الحقد أو الثأر أو الانتقام ، بل يقول فى صفحة ٣٩ : « وفى ذات يوم ، عاد الساحر . ولما وجد أن علاء الدين ما يزال على قيد الحياة ، وأنه قد أصبح أميرا ، امتلأ صدره غيظا » .



وبالنسبة لمشهد موت الساحر ، لا يقول علاء الدين الا انه يواجه سحر ساحر شرير ، ويطلب من الأميرة أن تضع شيئا فى كأس الساحر .. « ونفذت الأميرة ما قاله لها علاء الدين . ولما شرب الساحر من كأسه ، سقط ميتا » (صفحة ٤٦) .

أما النص الذى نقلته الى العربية دار معارف لبنان عن والت ديزنى ،



وجاءَ السَّاحِرُ إلى العَشَاءِ . ونَفَّذَتِ الأَميرَةُ ما قالَ لَهَا عَلاءُ الدينِ . ولَمَّا شَرِبَ الساحرُ مِنْ كَأْسه سقَطَ مَيْتًا .

فقد تجبن تماما أى اشارة الى القتل أو الحقد أو الانتقام أو العنف ، لأثرها السلبى على الأطفال .

★ ★ ★ ★

ويمكن أن نتابع ، فى هذه الصياغات الثلاث لنفس القصة المأخوذة عن أحد حكايات ألف ليلة ، كثيرا من الاختلافات التى تعود الى اختلاف النظرة التربوية لمن أعادوا صياغة هذه الحكاية .

سنجد مثلا فى صياغة الكيلانى اشارة الى الانتحار كوسيلة للهروب من اليأس ، وان كانت العبارات التى بعدها تؤكد أنه « لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » . وكانت تكفى الاشارة الى اليأس ، بغير الايحاء الى الأطفال بفكرة الانتحار ومناقشتها .

وسنجد اللجوء الى استخبار الرمل ، وعبارات مثل « فعرف من الرمل كل شىء » (صفحة ٦ وصفحة ٨٧) وفى هذا نوع من تأكيد اللجوء الى الخرافة فى حياتنا ، خاصة وأن الكتاب لا يتضمن أية اشارة يدين بها اللجوء الى هذا السبيل .

لكننا سنجد أيضا التأكيد على أن الحظ وحده لا يكفى للنجاح ، فان الامبراطور لم يوافق على زواج علاء الدين بابنته إلا لأنه أعجب « بذكاء علاء الدين ، وبعد نظره ، وأصالة رأيه ، وحسن أدبه » (صفحة ٥٨) .

★ ★ ★ ★

وهكذا نجد أن كل صفحة من صفحات القصص المأخوذ عن ألف ليلة ، تمتلىء بما يجب أن نقوله للأطفال ، أو بما يجب ألا نقوله للأطفال ، أو بما نقوله بعد تعديله ليتلائم مع ما يجب أن نقوله للأطفال .

وليس المسئول عن ذلك النص الأصلى ، بل هو الكاتب الذى يأخذ على عاتقه مسئولية مخاطبة الصغار ، والوصول الى عقولهم وسلوكهم ، عن طريق الحكاية والخيال .

(٣)

القيم التربـــويـة
فى نمـاذج من قصص الاطفال العربية

اولا

« بابا عبد الله والدرويـش »
سلسلة « قصص من الف ليلـة »
(دار المعارف ـ الطبعة ١٤)
بقلم : كامل الكيلانى

موضوع هذه القصة هو « الطمع » . وهى لا تتناول الا هذا الموضوع فقط ، وتتناوله فى عرض فنى مشوق ليس فيه استطرادات جانبية ، ولا قيم متعارضة ، ولا توجيهات سلبية . بل تعرض علينا القصة كيف يتصاعد الطمع برغبات الانسان الى أن يقضى عليه . وهى فى هذا تقدم نموذجا متكاملا لقصة الأطفال الفنية ، التى تحفل بالتشويق والاثارة ، وفى نفس الوقت تبرز قيمة أخلاقية عالية ، عندما تؤكد أن الطماع لابد أن يفقد فى النهاية كل ما جمع .

فعندما يخرج التاجر « بابا عبد الله » مع جماله الثمانين عائدا من البصرة الى بغداد ، كان قد باع بضائعه وربح فيها الكثير . لكنه قابل الدرويش ، الذى طلب منه أن يساعده فى حمل النفائس من كنز مملوء بالذهب والأحجار الكريمة . وكان الدرويش عادلا مع بابا عبد الله ، فاقتسم معه الجمال بما عليها من نفائس ، فأخذ بابا عبد الله أربعين جملا ، وأخذ الدرويش أربعين .

* * * *

لكن عبد الله لم يلبث أن طمع فى عشرة من جمال الدرويش ، فأعطاها له هذا الأخير ، ثم طمع فى عشرة أخرى وثالثة ورابعة ، أخذها كلها .

لكنه فى النهاية طمع فى علبة صغيرة ، أخذها الدرويش من الكنز . وقد حذره الدرويش من أن الدهان الذى تحتوى عليه العلبة يجعل العين اليسرى تبصر كنوز الأرض كلها . فاذا دهنُت به العين اليمنى عميت العينين جميعا ، فلا يبصر صاحبهما شيئا . لكن الطمع جعل بابا عبد الله يظن أن الدرويش يكذب عليه ، وتصور أنه لو دهن عينه اليمنى ، فسيرى من الكنوز أكثر مما رأى بعينه اليسرى ، فألح على الدرويش أن يدهّن له عينه اليمنى . وعندما فعل الدرويش ذلك ، عميت عينا عبد الله جميعا .

ويقول الكاتب أنه « صرخ من شدة الألم ، وجعل يتندم أشد الندم ، فتركه الدرويش ، ورأى أنه لا يستحق شيئا من الرحمة بعد ما أظهره من الشر والطمع » .

« ثم ساق الدرويش الجمال الثمانين كلها أمامه » .

أما بابا عبد الله ، فقد ضل الطريق ، « وأخذ يفكر ويتحسر على تلك الثروة التى حصل عليها ، ثم أضاعها بجهله وغفلته من تدبر العواقب » .

ويختم المؤلف قصته ، بأنه بينما كان ـ بابا عبد الله ـ يفكر فى هذه العاقبة السيئة التى جرهًا اليه الطمع والشره ، اذ بصر به سبع فى الطريق ، فهجم عليه ذلك السبع وقتله » .

ولا شك أنه كان يكفى أن ينهى الكاتب قصته وبابا عبد الله يتلمس طريقه بعد أن عميت عيناه ، وفقد قافلة الجمال وما عليها من ثروة .

لكن رغبة الكاتب فى أن يؤكد قسوة العقاب ، جعلته يقدم بطل القصة فريسة للأسد ، وبذلك أثار شفقتنا على بطل القصة ، بعد أن كان قد أثار نفورنا منه » .

ثانيـا

« خسـرو شــاه »

من سلسلة « قصص من الف ليلـة »

(دار المعارف ـ الطبعـة ١١)

بقلم : كامل الكيلانى

فى الصفحة الأولى من القصة ، اهتم كامل كيلانى أن يحث القارىء الصغير على حب الدرس ، فقال : « وكان خسرو شاه ذكيا جدا ومحبا للدرس ، فتعلم التاريخ والجغرافية ، وتفقه فى الدين ، وبرع فى فنون الحرب والفروسية ، والهندسة ، وروى أعذب الأشعار التى قالها بلغاء العرب » . وقد استطرد كامل كيلانى فى بيان كل هذه العلوم ، رغم أنها لا ترتبط ارتباطا وثيقا بالقصة ، التى تدور حول تفوق خسرو شاه فى « فن الخط » ، ورغم أن تلك التفاصيل قد تصيب القارىء الصغير بالملل فى أول صفحة من القصة .

★ ★ ★ ★

وفى صفحة ٢ ، ينتهز الكاتب فرصة سفر البطل الى الهند ، فيتحدث عن توثيق الصلات بالبلاد الأجنبية ، فوائد السياحة ، فيقول : « وكان ابوه يحب توثيق الصلات مع ملك الهند ، ويرى فى مثل هذه السياحات دروسا نافعة لولده . « ولكن هذه العبارة قد تكون مجرد تبرير لموافقة الأب على سفر ابنه الى الهند » .

★ ★ ★ ★

وفى صفحة (٥) ، يقول الخياط لخسرو شاه ، الذى نزل فى ضيافته : « ان من عادة الأمراء أن يتعلموا فى صغرهم حرفة لتنفعهم فى وقت الضيق . فأى حرفة تعلمت ؟ » وهو بهذا يحث القارىء على

تعلم حرفة تنفعه فى وقت الضيق ، وان كانت السطور التالية تبين أن الحرفة التى أتقنها خسرو ، وهى البراعة فى فن الخط ، لم تنفعه فى ذلك البلد ، بل اضطر أن يعمل حطاّبا ، وهى مهنة لم يسبق له أن مارسها أو تعلمها .

★ ★ ★ ★

لكن فى صفحة ٩ من القصة ، نجد الكيلانى يصف « حب الاستطلاع » عند بطل قصته بأنه « خطيئة أوحى بها الشيطان » . وهذا الموقف الذى يقفه كاتب القصة من حب الاستطلاع ، لابد أن يؤدى الى احباط رغبة الأطفال الطبيعية فى البحث والاستقصاء ، ويجعلهم قانعين بما هو متاح لهم ، مبتعدين عن كل ما تفرض التقاليد عليهم ألا يتدخلوا فيه .

وقد كانت التربية التقليدية تقوم على تلقين الأجيال الجديدة ما استقرت عليه الأجيال السابقة ، وتجريم وتحريم أى خروج على هذا الاستقرار ، لذلك حفلت القصص القديمة ببيان النتائج السلبية لحب الاستطلاع ، والتى تترتب على الرغبة فى كشف المجهول ، الذى وضعت المحاذير لتحول دون كشف حقيقته والتعرف عليه ، وذلك لقمع رغبات الأطفال الطبيعية فى الاستطلاع والاكتشاف .

أما التربية الحديثة ، فتهدف ، على العكس ، الى اثارة حوافز حب الاستطلاع لدى الأطفال ، وتدريبهم على عدم الاكتفاء بما يعرفونه ، بل تحثهم لكى يبحثوا عن تفسير جديد ، أوحل أصيل ، ولو خالف المتعارف عليه .

ومع ذلك نجد الكاتب فى قصة « خسرو شاه » ، يصف حب الاستطلاع بأنه « وسوسة شيطان » ، فيقول أن الفتاة قالت لخسروشاه : « ولكنى أحذرك أن تقرب هذه الزجاجة وحدها . فان شربت منها ندمت . فأكل خسروشاه وشرب ما شاء ، ثم وسوس له الشيطان أن يشرب من تلك الزجاجة » .


قصص من الحياة
جمال الغيطاني
خسروشاه
دار المعارف

وبهذا يدين المؤلف حب الاستطلاع ، ويثير فزع الأطفال منه ، رغم أنه من أثمن ما أعطته الطبيعة للأطفال .

وهذا موقف ثابت من المؤلف ، ففى قصة أخرى للأستاذ الكيلانى ، هى قصة « فى بلاد العجائب » يؤدى حب الاستطلاع ـ الذى يسميه المؤلف « الفضول » ـ الى فتح صندوق تخ ج منه حشرات تملأ العالم بالشر والمرض . ويعود ليؤكد : « وكانت عاقبة الفضول أن انتشرت الحشرات الخبيثة ، فتفاقم الشر وعم الأذى » .

★★★★★

وتثير قصة « خسرو شاه » حيرة الطفل فى الحكم على ما هو خير وما هو شر ، ففى صفحة (٨) تحكى الفتاة التى وجدها خسروشاه تحت الأرض ، عن جنى خطفها من قصر أبيها فى ليلة عرسها ، وسجنها تحت الأرض ، ومضت عليها عدة سنوات وهى فى ذلك المكان . وفى صفحة (١٠) تقول الفتاة أن ذلك الجنى سيقتلها ان هربت منه .

كل هذه الصفات والعبارات تؤكد أننا أمام نموذج خبيث للشر والأذى ، وهو الوصف الذى أطلقه عليه بطل القصة خسروشاه .



لذلك لن يفهم الطفل لماذا اندفعت الفتاة تدافع عن ذلك الجنى عندما عرض خسرو أن يقتله ، فتقول عنه : « انه لم يسىء الى قط ، بل بذل كل ما فى وسعه لاسعادى وتلبية كل ما أريده » .!!

هذا فى حين أنه ، فى قصص الأطفال ، لابد أن نساعد الطفل على أن يتبين الخير من الشر ، وأن يميز بين الشخصيات الشريرة والشخصيات الخيرة .

أما هذا العرض للجوانب المتناقضة فى الشخصية الواحدة ، فهو أمر نطلبه فى الأعمال الأدبية المقدمة للراشدين ، لكنه يربك الصغار ، وهم فى مرحلة الرغبة فى التمييز بين الخير والشر ، وتنمية الملكة النقدية ، التى يستطيعون عن طريقها الحكم على الآخرين ، وعلى ما يصدر منهم من تصرفات .

ويتكرر هذا الموقف فى نفس القصة ، عندما يطلب الجنى من خسروشاه أن يقتل الفتاة ، ثم يطلب من الفتاة أن تقتل خسروشاه . وعندما يرفضان بحجة أن أحدهما لا يعرف الآخر ، يقول لهما الجنى غاضبا : « لو لم تكذبا على ، لعفوت عن ذنبكما . ولكنكما كاذبان ، ولابد من عقابكما » .

وهكذا تجعل القصة من الجنى القاتل الشرير الخبيث ، رمزا للعدالة ، وتعطيه حق توقيع القصاص الصارم جزاء الكذب ، الذى جاء نتيجة الخوف الشديد من ظلم ذلك الجنى القاسى السفاك .

★ ★ ★ ★

بل ان هذه القصة تدين نوعا من السلوك المرغوب فيه ، هو الشجاعة والاقدام . فخاتمة هذه القصة تبين أن محاولة خسروشاه انقاذ الفتاة ، التى خطفها الجنى الخبيث ليلة عرسها وسجنها تحت الأرض ـ يعتبر المؤلف هذه المحاولة الشجاعة ، حماقة أدت الى قتل تلك الفتاة . ويختم القصة قائلا : « ورأى خسروشاه أنه كان سبب هذه النكبات كلها . ولم ينس طول عمره ـ أن خطأ واحدا دفعه اليه

حمقه ، كان سببا فى قتل أميرتين ، وجنى ، ووزير ، وتعوير ملك ، وتعريج أمير » .

★ ★ ★ ★

وهذه الخاتمة تثير قضية هامة من قضايا أدب الأطفال . فالأطفال يحبون فى قصصهم خاتمة عادلة سعيدة ، لأن من شأن هذا أن يعمق ثقتهم فى العالم وحبهم لمجتمعهم . لكن هذه الخاتمة لقصة « خسروشاه » ، محزنة مؤلمة وغير عادلة . فالقارىء لن يفهم لماذا أنهى المؤلف قصته باحتراق الوزير والأميرة ، واتلاف عين الملك ، واحتراق رجل خسروشاه . فليس هناك مبرر من أحداث القصة أو حبكتها ، يؤدى الى هذه النتيجة . كما أن هذه النتيجة أشعرتنا بأن كل بطولة خسروشاه وشجاعته كانت حمقا ، استحق عليها العقاب هو وغيره .!!

★ ★ ★ ★

ولعل المؤلف عندما وجد القيم السلبية تطغى على الحكاية الشعبية الأصلية ، رأى أن يقحم على القصة ما سماه « جزاء الكذب » ، والاطناب فى تمجيد حب الدرس ، وبيان فوائد السياحة ، وأهمية تعلم حرفة فى الصغر . لكن كل هذه القيم الايجابية ، لم تدخل فى نسيج القصة العضوى ، بل كانت نوعا من الحشو والتزيد ، بحيث لن تجذب انتباه القارىء الصغير عن القيم السلبية التى تشيع فى القصة ، ومن أهمها ادانة حب الاستطلاع ، وادانة الشجاعة والاقدام ، والتى يسميها الكاتب « تهورا » !!

ثالثا

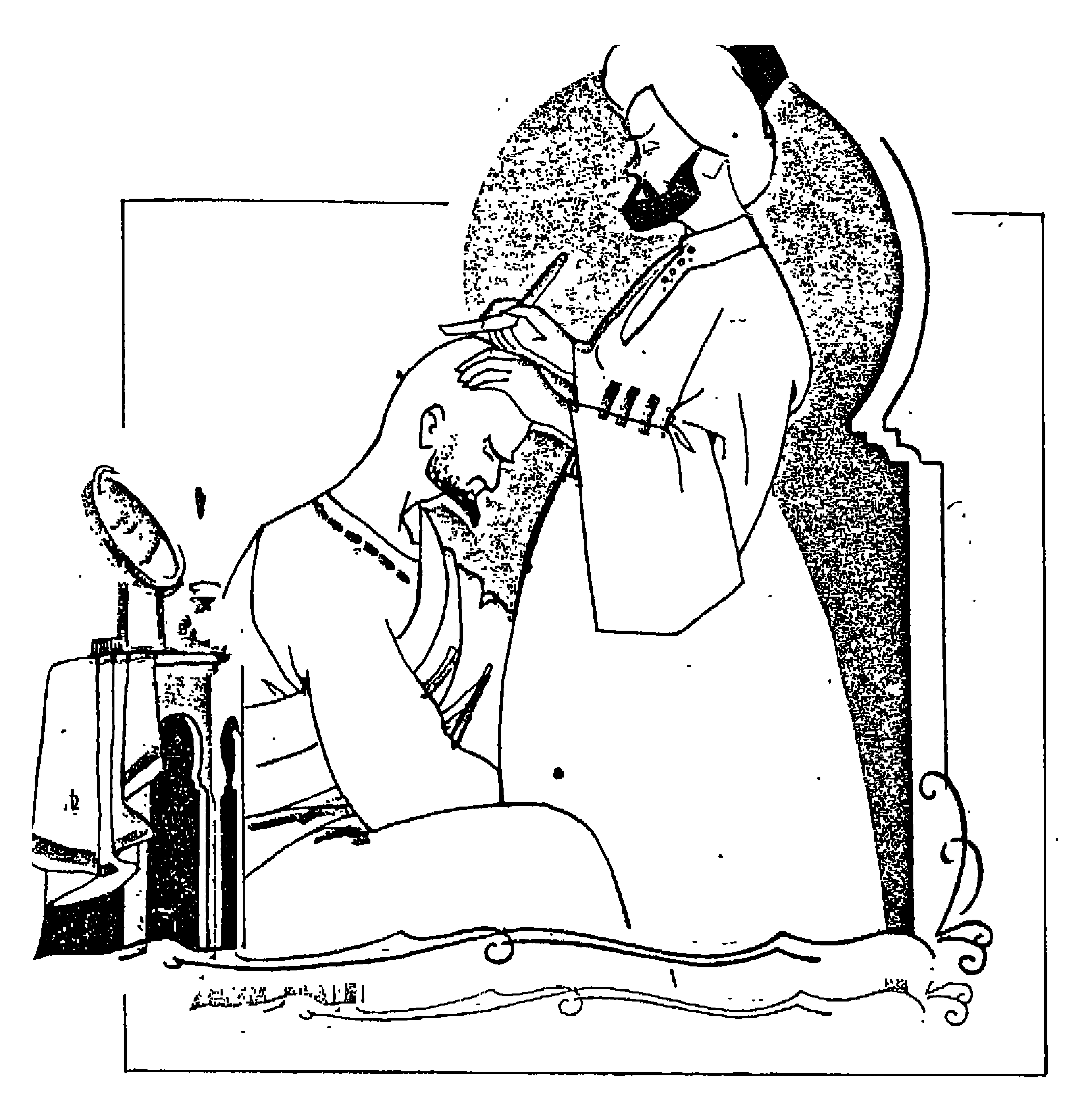
« ابوصير وابوقير »
سلسلة « قصص من الف ليلة »
(دار المعارف - الطبعة ١٦)
بقلم : كامل كيلانى

هذه قصة تدور حول « الوفاء » .. وفاء الصديق لصديقه . أو هى بالأحرى تدور حول « عدم الوفاء » . والشخصيتان الرئيسيتان فى القصة ، رسمهما الكاتب فى دقة وبراعة : الأول « أبو صير » حلاق يمثل الوفاء ، والاخلاص ، وحسن الخلق ، وطيبة القلب . أما الثانى فهو صباغ اسمه « أبو قير » نموذج للغدر والخيانة وعدم الوفاء . وتتوالى أحداث القصة ، فنجد الرجل الطيب المخلص يعانى من الظلم مرة بعد أخرى بسبب شر زميله وخداعه . لكن القصة تنتهى باكتشاف أمر المخادع الظالم ، والحكم عليه بالموت جزاء سلوكه الخبيث ، بينما يكافأ أبو صير لاخلاصه ووفاءه .

وهذه القصة نموذج من أفضل النماذج للقصص التى يجب أن نقدمها للأطفال من حكايات « ألف ليلة وليلة » .

لكن قد نتوقف هنا أمام جهلنا بدوافع تصرفات الشخصية الشريرة « أبو قير » ، فهو يغدر بصاحبه مرة بعد أخرى ، بغير مبرر واضح أو مفهوم . واذا كان هذا مقبولا فى الحكايات الشعبية ، فانه عندما نقدم مثل هذه الشخصيات للأطفال ، لابد أن يدركوا ، بغير تعقيد أو تفصيل ، الأسباب الكامنة وراء تلك التصرفات ، فيساعدهم ذلك ، فى مستقبل أيامهم ، على أن يكونوا أكثر قدرة على فهم الآخرين ، وتقدير دوافعهم ومبررات سلوكهم .

★ ★ ★ ★



كذلك فان بداية هذه القصة ، تجعل الحلاق الأمين النشيط فاشلا فى حياته ، فيتساوى فى ذلك مع الصباغ الذى فشل فى تجارته سوء خلقه وفساد ذمته . وهو أمر لابد أن يربك القارىء الصغير ، خاصة وأن بقية القصة تبين أن الحلاق الطيب قد استطاع دائما بنشاطه أن يربح ما يكفيه ، ويكفى صديقه أيضا . كما اننا ـ فى البلد الغريب ـ نجد الصباغ السىء يتخلى فجأة ـ مع زبائنه ـ عن السلوك المنحرف ، بحيث يصبح من كبار الأغنياء . فهنا نشاهد تحولات فجائية فى سلوك الشخصيات ، قد نقبلها فى القصص الشعبى ، لكنها قد تحتاج الى نوع من مساعدة القارىء على فهم دوافع تصرفاتها ، وأسباب التحولات الفجائية فى سلوكها ، عندما نقدمها للأطفال .

★ ★ ★ ★

رابعـــا

« على بــابــا »
سلسلة « قصص من الف ليلــة »
(دار المعارف ـ الطبعة ١٤)
بقلم : كامل الكيلانى

يبدأ الكاتب فيبين فى صفحة (٢) مدى الاختلاف بين ثروة علاء الدين وثروة أخيه قاسم . وكان هذا يكفى لسير الأحداث فى القصة . لكن الكاتب أخذ يبالغ فى تصوير قسوة الأخ الغنى هو وزوجه على الأخ الفقير الى ان يقول عن زوجة الاخ الغنى : كانت زوجة اخى أقسى منه قلبا ، فلم تكن تعطف على أخيه الفقير ، وكانت تعبس فى وجهه كلما رأته ، ولا تجود عليه بشىء من القوت أو المال . وهكذا ربط الكاتب بين الغنى وسوء الخلق ، بل جسم أمام الطفل القارىء هذا التلازم ما بين الغنى واحتقار الآخرين والقسوة عليهم ، حتى لو كان هؤلاء الآخرين هم الاخوة الأشقاء ..!!

* * * *

بل ان الكاتب ، فى سبيل ابراز التضاد بين أخلاق الشخصيات ، يسرف أحيانا فى تأكيد الصفات السيئة وابرازها ، على نحو قد يأتى بأثر عكسى فى نفس القارىء ، فيتمثل بالسلوك الخاطىء بدل أن يدينه ، لكثرة ما يرى من نماذج لذلك السلوك فى مواقف القصة المختلفة .

فهذه القصة (على بابا) تركز تركيزا شديدا على ابراز غيرة الشقيق من نجاح شقيقه وغيظة منه لهذا السبب فنجد فى القصة العبارات التالية :

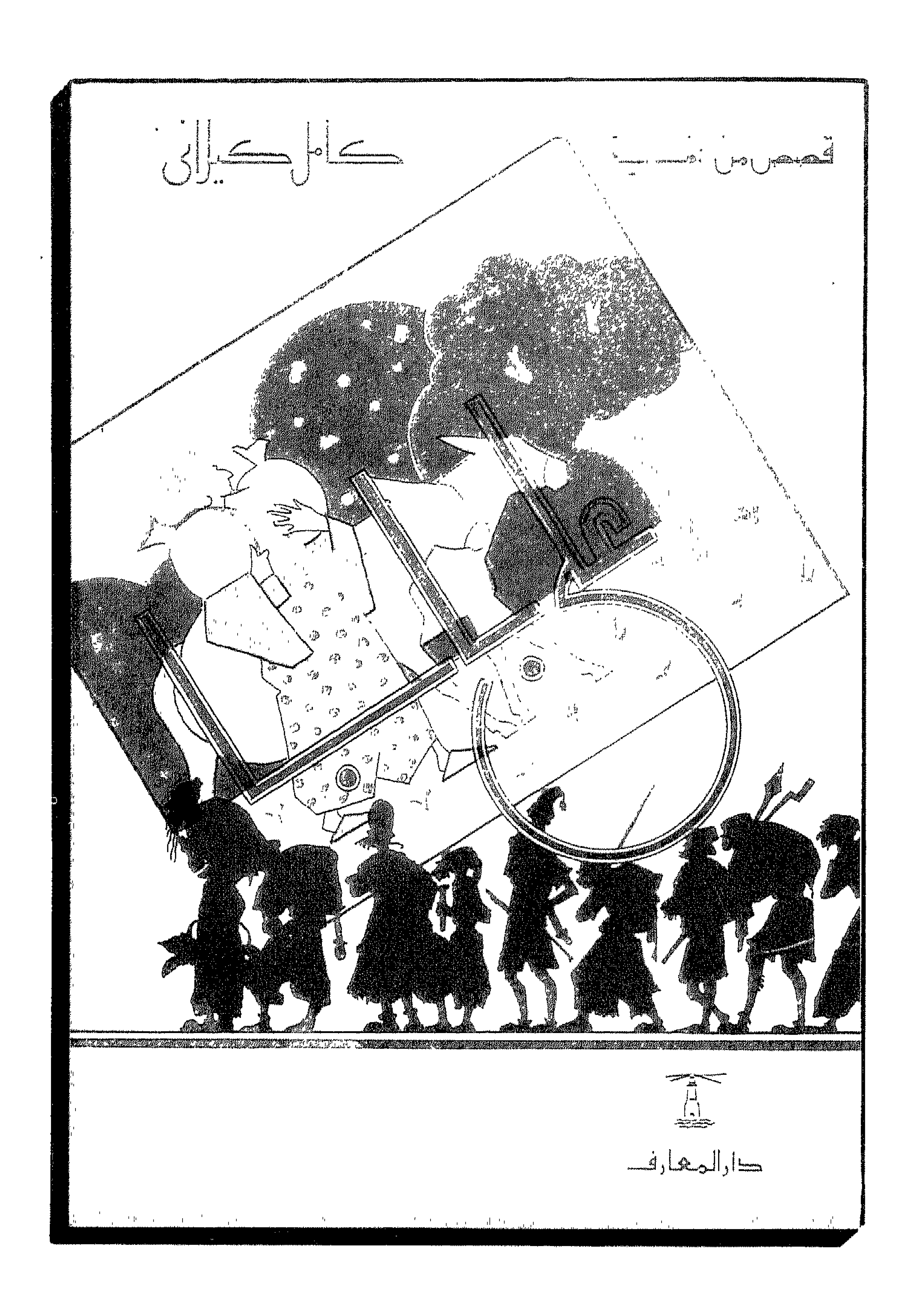
« امتلأت نفس قاسم غيرة وغيظة على أخيه » (صفحة ١٠ ـ « قال لأخيه وهو عابس الوجه : لابد أن تعرفنى طريق هذا الكنز والا ذهبت للقاضى ، وقصصت عليه قصتك ، ليأخذ مالك قهرا ، وينزل بك أشد العقاب » . (صفحة ١٠) ويقول عن زوجته : « امتلأت نفسها بالغيرة والغيظ » . (صفحة ٨) وكان ذلك عندما أدركت أن أخا زوجها وامرأته كانا يكيلان « الدنانير الذهبية كيلا لكثرتها » .

كذلك ينساق الكاتب أحيانا الى تبرير الشر ، ففى صفحة (٦) نجد على بابا يسرق اللصوص ، ورغم ان هذا هو منطق القصة الشعبية ، فان كثيرا من الصغار يتساءلون ، عند هذا الموقف ، عما اذا كان من الجائز سرقة اللص . ان القانون الوضعى يعاقب الفرد الذى يلجأ الى السرقة ليسترد حقا له ، فكيف الحال وعلى بابا يسرق مالا ليس ماله ؟!

ولسنا بصدد اقتراح ما كان يمكن أن يقوله الكاتب فى هذا الموقف ، حتى لا يقدم قيمة سلبية للأطفال ويمكن مع ذلك أن تستمر باقى القصة كما رواها القاص الشعبى ، فهذا أحد المهام الرئيسية لمن يتصدى لإعادة حكاية القصص الشعبى للأطفال .

وقد أحس المؤلف بهذه القيمة السلبية التى قدمها فى تصرف على بابا عندما سرق كهف اللصوص ، فلجأ الى تبرير خطأ على بابا ، لأنه الشخصية التى اختارها لتمثل جانب الخير .

ففى صفحة (٧) يحاول المؤلف نفى السرقة عن على بابا ، فيقول إنه بعد أن عاد الى بيته من الكهف ، وقد حمل منه كل ما تستطيع حميره الثلاثة أن تحمله من المال ، ورأت زوجه ذلك المال الكثير ، فإن الزوجة : « ظنت أن زوجها قد سرقه » . فقص عليها على بابا قصته كلها : « فاطمأنت ، وفرحت بهذه الثروة العظيمة التى لم تفكر فيها » !! .


قصص من
كامل كيلانى
دار المعارف



ثم يقول المؤلف فى صفحة (١٠) أن على بابا قال لأخيه : « أنا لا أخشى القاضى ، لأنى لم أسرق هذا المال » .!!

وقد كان أمام من يتصدى لإعادة رواية هذه الحكاية للأطفال ، أن يختار واحدا من أمرين : إما أن يغفل القول بأن الزوجة ظنت أن زوجها قد سرق المال ـ ذلك أن على بابا قد سرق المال فعلا من كهف اللصوص . أو كان عليه أن يغير فى القصة بحيث لا يبدو الأمر سرقة .

أما أن ينتهى الكاتب الى أن يقرر فى بساطة أن الزوجة « اطمأنت وفرحت » بالثروة ، فهذا تبرير غير مقنع للاستيلاء على مال الغير ، حتى لو كان هؤلاء الغير مجموعة من اللصوص فالخطأ لا يبرر الخطأ .

★ ★ ★ ★

ونلاحظ فى هذه القصة ما نلاحظه فى قصص أخرى لكامل كيلانى ، وهو حرصه على تصوير مناظر العنف والقتل ، متصورا أنها عنصر من عناصر التشويق ، ويتغافل فى ذلك عن أثر هذه المشاهد فى

النفوس الغضة الصغيرة ، فقد تملأ نفس الصغير بالرعب والخوف ، أو تملؤه بالقسوة وحب العنف .

ففى صفحة ١٣ ، يصف موت قاسم فى كهف اللصوص فيقول : « وضربه أحد اللصوص بالسيف فقتله . واشتد غيظ اللصوص عليه فقطعوا جسمه أربعة أجزاء ، ووضعوا كل جزء منه فى زاوية من زوايا الكنز ، حتى « إذا رآه شركاؤه خافوا » .





كذلك فان شخصية على بابا التى يقدمها الكاتب فى هذه القصة لتمثل جانب الخير ، تتعارض بعض تصرفاتها مع ما يجب أن تتصف به الشخصيات الخيرة .

ففى نفس القص ، وفى صفحة (١٤) ، يقول المؤلف عن على بابا ، عندما دخل الكهف بعد أن قتل اللصوص أخاه : « فحمل جثة أخيه على حمار ، وحمل الحمارين الآخرين ما أمكن أن يحملاه من نفائس الكنز ، وعاد بها الى البيت » . وان القارىء ليدهش : كيف يجد أخ جثة أخيه مقتولا ، ثم يجد من نفسه اهتماما بأن يأخذ مع الجثة أموالا ونفائس من الكنز ؟!

* * * *



ولكن المؤلف حريص أيضا على أن يبين جزاء الطمع ، فقد عرض على بابا على أخيه قاسم أن يقتسم معه المال الذى أخذه من كهف اللصوص ، لكن قاسما لم يقنع بذلك ، وأصر أن يذهب بنفسه الى الكنز ومعه عشرة بغال ، ليحملها ما يختاره من النفائس والمال . وعندما دخل الكهف ، ونسى كلمة السر التى تفتح الباب : « أيقن قاسم أنه لابد هالك . وعرف أن طمعه وشرهه وتهافته على المال قد ساقته الى الموت . فندم على مخاطرته أشد الندم » .

* * * *

وفى صفحة ٢٢ ، نجد مرجانة ، خادمة على بابا قد « ملأت وعاء كبيرا بالزيت ، ووضعته على النار حتى اشتد غليانه ، ثم فتحت كل خابية ، وصبت فيها شيئا من الزيت حتى قتلت اللصوص جميعا أشنع قتلة » .

ورغم أن هذا هو ما تقوله القصة الشعبية ، فقد يتساءل القارىء الصغير عما اذا كان من حق المسروق أن يقتل السارق ، فى حين أن التشريع لا يسمح بذلك الا فى حالة الدفاع عن النفس . ولن تنقص القصة شيئا اذا جعلنا الزيت المغلى يصيب اللصوص اصابات تعجزهم عن الحركة الى أن يتم تسليمهم لرجال الشرطة . ولو لجأ المؤلف المعاصر الى مثل هذا الحل ، لأكد فى ذهن القارىء الصغير معنى احترام القانون ، وسلطة المجتمع ، ولاحتفظ فى نفس الوقت بما فى القصة من حبكة وتشويق .

★ ★ ★ ★

وفى صفحة ٢٣ ، نجد الكاتب يضعنا أمام تناقض غير مفهوم فى الشخصيات . فشيخ اللصوص رجل تتجسد فيه كل معانى القسوة والشر ، فقد قتل من قبل لصين من رجاله ، لا لشىء الا انهما لم يتعرفا جيدا على بيت على بابا . كما انه قاد عصابته ليقضى على على بابا وأسرته . ومع ذلك ، فالكاتب يصوره فى صفحة ٢٣ بمظهر الانسان النبيل الوفى ، الذى يحركه الوفاء والاخلاص للأصدقاء : « أما شيخ اللصوص ، فكان يدخل الكهف فى كل يوم ، وينادى أصحابه ، فلا يجيبه أحد . فيبكى عليهم ويلطم وجهه . ومرت به عدة أشهر وهو كالمجنون من شدة الحزن » !!

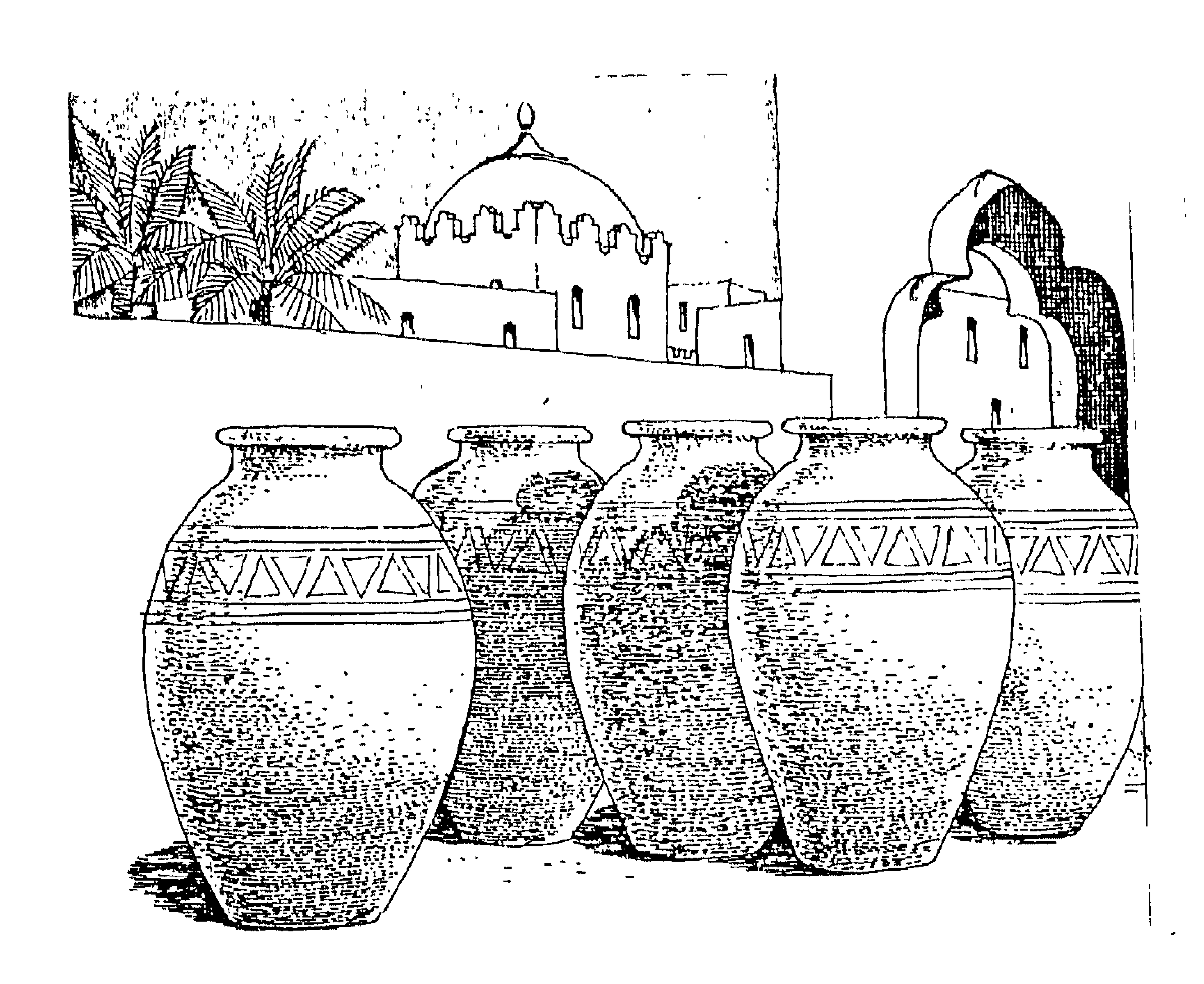
ان مثل هذه الصور من التناقض فى سلوك الشخصيات التى تمثل الشر ، لابد أن تحير القارىء الصغير وتربكه ، فيختلط عليه معيار التمييز بين الطيب والخبيث .

★ ★ ★ ★

لكن الكاتب يحرص أن ينهى قصته بنموذج بارز للعدالة ومكافأة صاحب الفضل ، حتى لو كان مجرد خادمة فى منزل ، فيقول فى خاتمة القصة : « ولم ينس على بابا فضل مرجانة عليه ، فزوجها ابن أخيه مكافأة لها على معروفها وذكائها : وأصبح الكنز ـ منذ ذلك اليوم ـ

ملكا لعلى بابا بعد قتل اللصوص ، فقسمه بينه وبينهما بالسوية ، وعاشوا جميعا طول الحياة وهم على أسعد حال وأهنأ بال » .





خامســـا

« على بابا والاربعون لصـا »

سلسلـة « اسـاطـير وحكـايـات خرافية »

(ليـدبيرد العـربيـة ـ الطبعـة الاولى)

اعاد حكايتها : سليمان العيسى

فى هذا النص الجديد لحكاية على بابا ، نجد الكاتب يتجنب كثيرا من الملاحظات التى أخذناها على نصوص أخرى تتناول نفس القصة . فنحن هنا لا نجد ذلك الإلحاح على تأكيد غيرة الأخ من أخيه أو قسوته عليه ، ولا نجد ذلك الإيحاء بوجود ارتباط بين الثراء والقسوة .

* * * *

واذا كان هذا النص لم يحاول تجنب الإيحاء بأن على بابا قد أخذ ما لا يملك من الكهف ، فانه لم يحاول أن يبرر تلك الفعلة ، بل يقول فى بساطة : « ولم تدر زوجته (زوجة على بابا) ماذا تفعل ، وكيف تتصرف ، عندما شاهدت كل تلك النقود فى الأكياس . وجلس الحطاب الى جانب امرأته وأخبرها أين وجد الكنز ، وقص عليها القصة ، ثم أوصاها ألا تبوح بالسر لأى انسان » . (صفحة ١٣)

* * * *

ويتجنب الكاتب هنا وصف مقتل قاسم ، بل تجنب القتل اطلاقا ، وقال أن اللصوص : « ... ألقوا عليه القبض ،وأشبعوه ضربا وطعنا ، ثم طرحوه فى المغارة ظنا منهم أنه قد فارق الحياة » .
(صفحة ٢٥)

اساطير وحكايات خرافية

علي بابا والأربعون لصّاً

أعاد حكايتها: سليمان العيسى
عن قصة: ماري ستيوارت
وضع الرسوم: روبرت آيتون



أما صانع الأحذية ، فقد استدعوه ، لا ليخيط الجثة ، بل لأن لديه الخبرة فى معالجة المرضى (صفحة ٢٧) .

واذا كان قاسم قد مات بعد يومين متأثرا بجراحه ، فقد تم دفنه فى جنازة عادية ، بغير أن يضطر الكاتب الى القول بأن الدفن تم سرا لكى لا يفطن أحد الى ما حدث .

★ ★ ★ ★

كذلك تجنب الكاتب هنا ما يقوله نص الكيلانى من أن شيخ اللصوص قتل لصا بعد آخر من عصابته ، لأنهم فشلوا فى الاهتداء الى بيت على بابا . فالكاتب يحرص هنا أن يبعد عن قصته ـ الى حد كبير ـ مناظر القسوة والقتل وسفك الدماء .

★ ★ ★ ★

ومع ذلك ، فقد احتفظ هذا النص بذكر الطريقة التى قتلت بها مرجانة اللصوص ، بأن صبت فى كل واحدة من الجرار « دفعة من الزيت الشديد الحرارة ، وكانت فى ذلك نهاية اللصوص » . (صفحة ٤٤) .

كما يقول فى صفحة ٥٠ أن مرجانة « انقضت بسرعة على زعيم اللصوص ، وانتزعت منه الخنجر ، وأغمدته فى صدره فمات فى الحال » ـ ونلاحظ هنا الاقتصاد الشديد فى العبارات والألفاظ التى تتناول موضوع القتل .

★ ★ ★ ★

وفى نهاية القصة ، وبعد استيلاء على بابا على ثروة اللصوص ، أحس كاتب هذا النص أنه لا يوجد مبرر أخلاقى واضح لاستيلاء على بابا على كل تلك الثروة ، فختم قصته قائلا : « لكن على بابا وزع معظم تلك الأموال على الفقراء والمحتاجين ، وعاش الجميع بعد ذلك بالهناء والسعادة والرخاء » .



وبِسُرْعَةِ الْبَرْقِ ، انْقَضَّتِ الصَّبِيَّةُ على زَعِيمِ الُّلصُوصِ وانْتَزَعَتْ منهُ الْخِنْجَرَ ، وأَغْمَدتْهُ في صَدْرِهِ ، فماتَ في الْحَالِ .

وَوَثَبَ علي بابا مِنْ مَقْعَده صائحًا : « ماذَا فَعَلْتِ يامَرْجانَةُ ؟ »

فأَجابَتْ : « لو لَمْ أَفْعَلْ ذَلكَ لَقَتَلَكُما . إنَّه رئيسُ الُّلصُوصِ الَّذي جاءَ بجِرَارِ الزَّيْتِ ، ونَزَلَ عِنْدَنا مِنْ قَبْلُ . هَلْ تَذْكُرُ يا سَيِّدي ؟ »

سادســا

« على بابا والاربعون حرامى »

سلسلة « مكتبة الطفـل »

(دائرة ثقافة الاطفال بالعراق)

اعداد : نظيرة محمد

فى هذا الكتاب الذى يحكى قصة على بابا على نحو مركز ، تجنبت القصة كثيرا من العيوب التى تشيع فى الصياغات المختلفة لهذه القصة ، فلا قسوة ولا حقد من أخ على أخيه ، مع تجنب كثير من مواقف القسوة والعنف . فالقصة تكتفى بأن تقول : « غضب اللصوص حين شاهدوا حمدان فى الداخل ، وأكياسه مليئة بالذهب فقتلوه » . دون أية اشارة الى مسألة تقطيع الجسد الى أربعة أجزاء ، وتوزيع الأجزاء على أركان الكهف . وتقول القصة أنه عندما ذهب على بابا الى الكهف « شاهد أخاه حمدان ملقى على الأرض » ، واكتفت بهذه الاشارة ، فلم تستطرد الى وصف أى شيء آخر .

واستغنى هذا النص تماما عن ذكر موضوع صانع الأحذية ، حتى لا يضطر الى الخوض فى مسألة خياطة أجزاء الجسم بعضها الى بعض .

كذلك لم يذكر شيئا عن قتل شيخ اللصوص لأعضاء العصابة الذين فشلوا فى تحديد بيت على بابا .

لكن النص احتفظ بقتل مرجانة للصوص بصب الزيت المغلى عليهم . لكنه يقول هذا فى كلمات قليلة وبغير مبالغات .

ثم استغنت القصة تماما عن مشهد قتل مرجانة لزعيم اللصوص .

وبهذا نجح هذا النص فى الحرص على ألا يثير مخاوف الأطفال ورعبهم بمشاهد العنف والقتل وسفك الدماء . وعندما اضطر الى ذكر بعضها ، أوردها فى كلمات قليلة مختصرة ، لا تترك فى خيال ونفس القارىء الصغير أثرا مفزعا ولا قويا .






كامل كيلانى
قصص من ألف ليلة
تاجر بغداد
دار المعارف

سابعــا

« تاجـر بغـداد »
سلسلة « قصص من الف ليلـة »
(دار المعارف ـ الطبعة ١٨)
بقلم : كامل الكيلانى

تدور هذه القصة حول « الأمانة » فالتاجر « على كوجيا » يترك ثروته فى جرة تركها عند صديقه « التاجر حسن » بعد أن وضع ألف دينار فى الجرة ، غطاها بقليل ٪ن الزيتون . وبعد سفر على كوجيا ، يفكر التاجر حسن فى أخذ بعض الزيتون من الجرة تنفيذا لطلب زوجته ، لكن الزوجة تستنكر أن يمس زوجها الزيتون المتروك أمانة عنده . ويستغرق بيان استنكارها ثلاث صفحات من القصة (صفحات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) أنها تبدأ فتقول : « أما زيتون على كوجيا فلا أريد أن آكل منه شيئا . وانى أحذرك أن تمس زيتونه الذى تركه أمانة عندك . فانك اذا أخذت منه شيئا كنت خائنا ، ولست أرضى لك ذلك أبدا » . ولكن التاجر لم يبال بكلام امرأته ، وفتح الجرة واستولى على ما بها من دنانير ، ووضع بدل الدنانير زيتونا .

ويعود على كوجيا من سفره الطويل ، ويسترد الجرة ويكتشف ما حدث . وهنا تقول القصة : « حزن على كوجيا لذلك أشد الحزن ، وعجب من خيانة صاحبه التاجر ، وقال فى نفسه : « لقد خدعت فى هذا الرجل : فقد كنت أحسبه أمينا ، فاذا به لص خائن ، لا يرعى حق الأمانة » . (ص ٣٢) .

وعندما ذهب على كوجيا الى التاجر حسن ، يطلب منه رد الدنانير ، لم يفلح « وأصر التاجر حسن على كذبه اصرارا » ـ وينتهز

الكاتب هذه الفرصة ، فيقدم على لسان « على كوجيا » خطبة بليغة يبين فيها عاقبة الخيانة ، فيقول فيها :

« ومتى اشتهرت بين الناس الخيانة ، نفر الناس من معاملتك ، وكسدت تجارتك ، ولم يقبل عليها أحد ممن يشترون . ولست أرضى لك هذه العاقبة السيئة » .

وهكذا يسرف الكاتب إسرافا شديدا فى بيان عاقبة خيانة الأمانة ، فى حين أن أحداث القصة وحدها ، والتى تنتهى بكشف خيانة التاجر حسن وعقابه ، كافية لتقول بوضوح أن من يخون الأمانة عاقبته سيئة وخيمة .

★ ★ ★ ★

ومع أننا لا نجد فى هذه القصة الا الدفاع عن القيم الإيجابية فى مواجهة أى تصرف سلبى ، فانها فى صفحة واحدة منها ، تتخلى عن هذا الموقف الثابت .

ففى صفحة ٤٦ ، برأ القاضى « حسن » من تهمة السرقة ، لعدم وجود دليل واحد ضده ، ولا شهود يعززون كلام على كوجيا .

فلما سمع على كوجيا من القاضى ذلك ، غضب غضبا شديدا ، وقال للقاضى :

« لقد سرق مالى ، فكيف يخرج بريئا ؟! »

ولو فعل أحد المتقاضين ذلك فى زماننا هذا ، لحكم القاضى بحبسه جزاء إهانته المحكمة !!

وكان يجب أن ينتهز القاضى هذه الفرصة ، ليؤكد فى نفس القارىء الصغير ضرورة احترام حكم القاضى حتى اذا لم يرض عنه المتقاضى . لكن الكاتب يستطرد قائلا أن القاضى كان حليما : « فلم يغضب من كلام على كوجيا ، لأنه علم أن غضبه قد دفعه الى النطق



بهذا الكلام الذى قد يفوه به من يخسر قضيته . ولم يعاقبه القاضى عليه ، ولكنه اكتفى بطرده من المحكمة » .

وأرى أن الموقف بهذه الصورة ، سيشجع الصغار فى مستقبل أيامهم على عدم احترام أحكام القضاء ، اذا لم تصادف هوى نفوسه . ولا يمكن أن يقال دفاعا عن الموقف الذى عرضته القصة أن القارىء يعلم أن على كوجيا مظلوم ، فلابد أن نربى الصغار على احترام القاضى ، مهما كان رأينا الشخصى فى حكمه ، فهذه دعامة من دعامات تماسك النظام فى مجتمعاتنا الحديثة .

★★★★

لكن الذى لا شك فيه أن قصة « تاجر بغداد » من أفضل القصص التى استمدها كامل كيلانى من ألف ليلة ، وأصلحها لتقدم الى الأطفال .



ثامنـــا

« سندباد والبحـــر »
سلسلة « الف ليلة وليلـة »
(دار الشروق)
اعداد : احمد سويلم
رسوم : مصطفى حسين

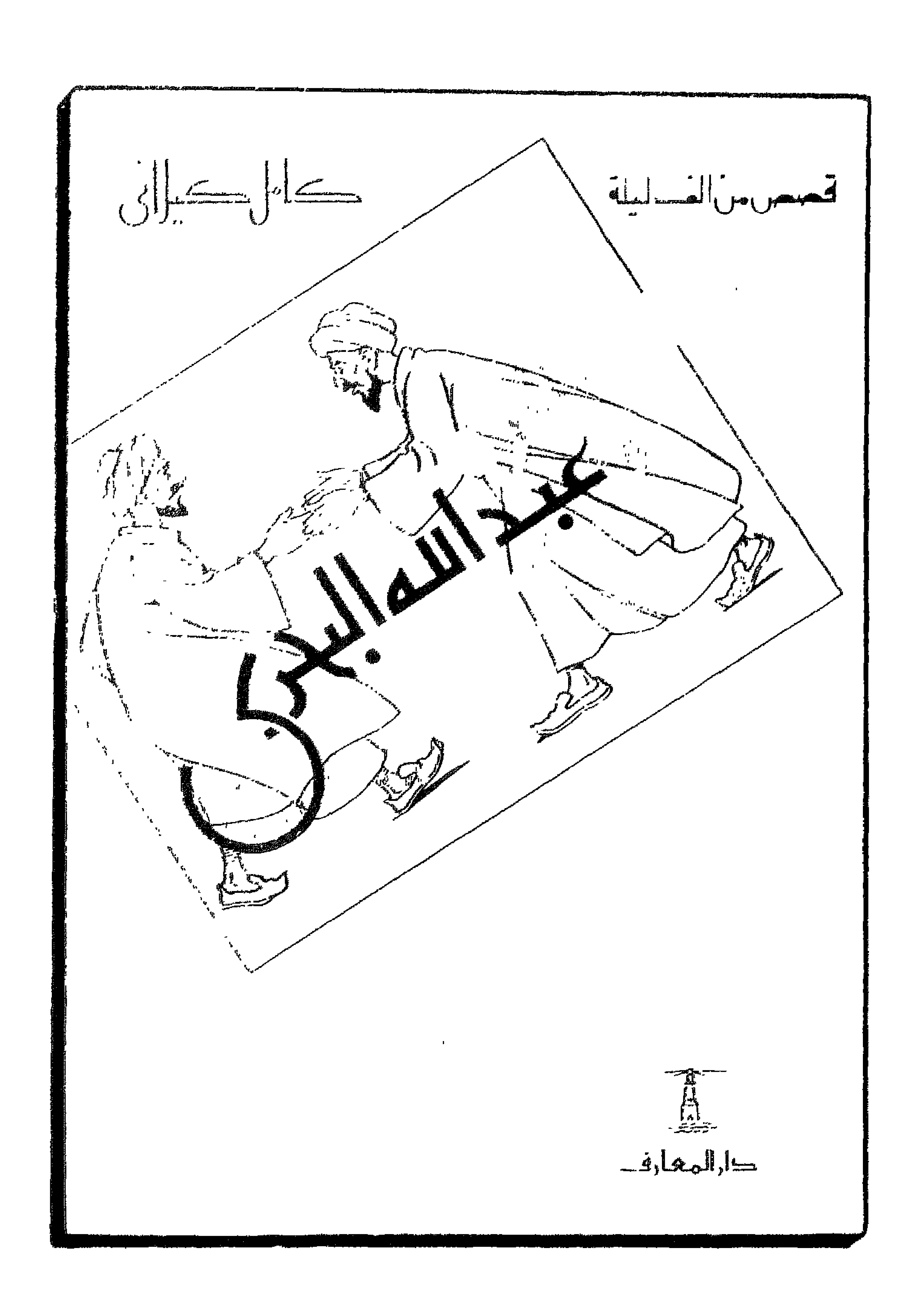
فى هذه القصة المأخوذة عن أحد رحلات السندباد ، تواجهنا فى صفحاتها الأولى دعوة إلى الإيمان بالله ، والتسليم بحكمه : فعندما يصرخ قائد السفينة قائلا : « مصيبة كبيرة .. مصيبة كبيرة » . يقول له سندباد : « لا حول ولا قوة الا بالله .. لا تصرخ هكذا .. كل شيء بأمر الله » .

لكن ربان السفينة يظل يبكى ويصرخ ، ويرمى عمامته ، ويلطم وجهه . « لكن السندباد أخذ يهدىء ربان السفينة ويطمئنه أن كل شيء بأمر الله » .

أما بقية القصة ، فتدور حول ذكاء السندباد وثباته ، وكيف كان يواجه أغرب الأمور وأعقدها وأكثرها خطرا بقلب شجاع وتفكير سليم ، فاستطاع أن ينجو من مخالب طائر الرخ الضخم ، بل جعل طائر الرخ يخلصه من الجزيرة المهجورة التى وجد نفسه عليها . كما استطاع أن يقضى بذكائه على الحية الضخمة .

★ ★ ★ ★

ان مثل هذه القصص تبث فى نفوس الصغار الثبات والشجاعة ، والقدرة على مواجهة المواقف الجديدة المعقدة ، بفكر متفتح وقلب لا يفزع ولا يتقهقر .



قصص من الف ليلة
كامل كيلاني
عبد الله البري
دار المعارف

تاسعـــا

« عبـد الله البـرى وعبـد اللــه البحرى »

سلسلة « قصص من الف ليـلة »

(دار المعارف ـ طبعة ١٩٧٥)

بقلم : كامل الكيلانى

هذه قصة من قصص الوفاء والكرم . فعبد الله البحرى صياد فقير ، يذهب الى البحر ويلقى شبكته ، فلا يصيد شيئا . لكن عبد الله الخباز يحسن الى عبد الله الصياد ، فيقدم اليه الخبز ولا يطالبه بثمنه . وبهذا يقدم لنا الكاتب صورة من أجمل صور التعاطف والتعاون بين الناس .

ان أمينة ابنة عبد الله البرى تسأل أباها وهى محزونة ، عندما شاهدته حزينا ، تسأل وهى تقصد السؤال عن عبد الله الخباز : « وهل أظهر لك الخباز شيئا من النفور أو الإعراض ؟ وهل آذاك بكلمة واحدة ؟ فقال لها الصياد : « كلا يا ابنتى العزيزة ، بل هو على الضد من ذلك ، يهش لى كلما رآنى ، ويبتسم مترفقا على . ولكننى خجل جدا لأننى لم أعطه شيئا مما اقترضته منه » (ص ٩)

كذلك يقدم الينا الكاتب فى هذه القصة ، نموذجا حيا للابنة البارة بوالدها ، بعد وفاة والدتها . فيقول فى الصفحة الأولى من الكتاب ، إن الصياد ذهب الى البحر : « بعد أن أوصى ابنته أمينة بإخوتها . وكانت أمينة بنتا مؤدبة ذكية ، فعنيت بإخوتها خير عناية » .

ولحرص المؤلف على إبراز القيم الخلقية والتربوية ، فانه يستطرد هنا فى غير ضرورة فنية ، فيقول عن أمينة أنها قد أصبحت لاخوتها ،

بعد موت أمها : « والدة ثانية ، تغمرهم بعطفها وحنانها ، وتؤسيهم ، وتسهر على خدمتهم ، وتقوم بكل ما يحتاجون إليه » .

★ ★ ★ ★

وفى صفحة (١٠) ، تقوم الابنة بدور الناصح لوالدها ، وهو توزيع غريب للأدوار ـ غريب على طبيعة العلاقات بين الأبناء والبنات . لكن الكاتب لا يريد أن تفلت منه فرصة يستطيع أن يقدم من خلالها حكمة أو نصيحة .

فعندما يقول عبد الله الصياد لابنته : « وقد هممت مرارا بتقطيع شبكتى ورميتها حتى لا أتعب نفسى بها كل يوم على غير جدوى » ـ تقول له ابنته : « على الإنسان أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح ، ولابد من الصبر على قضاء الله . ويجب عليك يا أبت أن تحمد الله على لطفه بك ، فقد عطف عليك قلب هذا الخباز المحسن فى أيام الضيق . ومن يدرى ، فلعل هذا اليوم يكون خاتمة أيام النحس ، وفاتحة أيام اليسر والفزع » .

وفى صفحة ١٢ ، يقول الكاتب أن عبد الله الصياد : « هم بتقطيع شبكته ورميها ، والرجوع الى بيته يائسا من كل خير ، ولكنه ذكر نصيحة ابنته ، وعلم أن الشتاء اذا اشتد برده القارس جاء بعده الربيع البهيج . وأن الصيف اذا اشتد حره اللافح ، جاء بعده الخريف الجميل . وأن البؤس اذا اشتد ضيقه واستحكم ، أعقبه الفرج ، فصبر على قضاء الله » .

★ ★ ★ ★

ويظهر الوفاء مرة ثانية ، عندما يعود عبد الله البحرى من قاع البحر ، ويداه مملوءتان بالياقوت والزمرد والمرجان . هنا يقول الكاتب أن عبد الله البرى : « لم ينس فضل صديقه الخباز عليه ، فأسرع إلى دكانه ، وناداه ، وقسم بينه وبين الخباز ما معه اللآلىء بالسوية . ففرح الخباز أشد الفرح ، وشكره على وفائه » . (ص ١٥ ـ ١٦)

★ ★ ★ ★



وفى نهاية القصة ، يتدخل الكاتب ، فيغير فى سبب الفراق بين عبد الله البرى وعبد الله البحرى ، كما ترويه الحكاية الشعبية ، فجعل السبب أن عبد الله البرى كذب كذبة مما يسميه بعضهم « كذبة بيضاء » ، لكن الكاتب يريد التأكيد على أن الكذب نقيصة ، ليس فيه أبيض أو أسود ، وذلك عندما جاء رسول من أحد جيران عبد الله البحرى يعرض على عبد الله البرى أن يزوره فى بيته ، فقال البرى للبحرى : « لقد سئمت نفسى البقاء فى البحر لا أريد الذهاب إلى جارك ، فقل لرسوله : اننى قد عدت البر أمس » . فصاح عبد الله البحرى غاضبا : « أنت تكذب وتريد منى أن أكذب ؟ ان الرجل الذى يكذب لا وفاء له ، ولن أصاحبك بعد اليوم » .

فخجل عبد الله البرى أشد الخجل ، وعاد به عبد الله البحرى الى البر . ولم يخرج اليه بعد ذلك أبدا .

يعقوب الشارونى

اهم المراجع العربية :

١) **جمهور الأطفال** : تأليف فيليب بوشار
تقرير عن صحف الأطفال وأفلامهم واذاعاتهم .
نشرته عام ١٩٥٣ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ـ اليونسكو .

٢) **صحافة الأطفال** : تأليف : الدكتور سامى عزيز سلسلة دراسات فى ثقافة الأطفال الناشر : عالم الكتب سنة ١٩٧٠

٣) **تنمية القراءة عند الأطفال** : تأليف : يعقوب الشارونى سلسلة « أقرأ » دار المعارف الطبعة الأولى يناير ١٩٨٣ الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٨٤

٤) **ما هو الجنس** : من مؤلفات اليونسكو صدر ضمن مشروع ١٠٠٠ كتاب ترجمة الدكتور يوسف أبو حجاج الناشر : مكتبة الشرق بالفجالة

٥) **فى أدب الأطفال** : تأليف دكتور على الحديدى مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الثانية ١٩٧٦

٦) **أدب الأطفال** : تأليف : دكتور هادى نعمان الهيتى نشر وزارة الاعلام العراقية

٧) **رسالة اليونسكو** : العدد ٢٨٢ الخاص بالعلم والخيال العربى .

فهـــرس



اخراج فنى : أحلام فوزى



١٩٩٠

392
2
328
03375133

مطابع الهيئة العامة للاستعلامات